المماليك المفترى عليهم (٥)

الأشرف خليل

فاتحْ عَكّا

نورالدين خليل



الأشرف خليـل

فاتــحْ عَكّـا

اســــم الكتـــــاب: سلسلة المماليك المفترى عليهم (٥)
الأشرف خليل
فاتح عكا
اســــم المؤلـــــف: أ. نـور الديـن خليـل
اســــم المطبعــــة: الفتح للطباعة والنشر
العنـــــــــوان: أمام كلية حقوق الإسكندرية
ف: ٤٨٧٠٢٠٤ ت: ٤٨٤٠٦٦٤ - ٤٨٧٠٢٠٣
رقـــم الإيـــــداع:
بدار الكتـب المصريـة: ١٣٣٠٤/ ٢٠٠٧
الــــترقيم الــــدولى: 1 - 59 - 5245 - 977



مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُـوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَـيْهِ
فَمِنْـهُم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْـهُمْ مَنْ يَنْتَظِـرْ
وَمَا بَدّلُـوا تَبْدِيلا

(سورة الأحزاب)
(٣٣ : ٢٣)

تصديــر

الأشرف خليل :

هو الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون .

تاسع سلطــان مملوكى فى الترتيب التاريخى:

٠١- شجرة الدر (سلطانة)	١٢٥٠م
٠٢- أيبــك (المعز عـزالدين)	١٢٥٠- ١٢٥٧م
٠٣- على بن أيبك (المنصور نورالدين)	١٢٥٧- ١٢٥٩م
٠٤- قطـز (المظـفـر سيف الدين)	١٢٥٩- ١٢٦٠م
٠٥- بيبرس الأول البندقدارى (الظاهرركن الدين)	١٢٦٠- ١٢٧٧م
٠٦- بركة خان (السعيد بن الظاهر بيبرس)	١٢٧٧- ١٢٧٩م
٠٧- سلامش (العادل بدرالدين بن الظاهربيبرس)	١٢٧٩م
٠٨- قلاوون (المنصور سيف الدين)	١٢٧٩- ١٢٩٠م
٠٩- خليل (الأشرف صلاح الدين بن قلاوون)	١٢٩٠- ١٢٩٣م

♣ **خامس المماليك العظام بعد:** شجرة الدر وقطز وبيبرس وقلاوون .

♣ بطل مغوار ، وشجــاع مقـدام .

♣ حقق ما عجز عنـه ثمانية سلاطين قبله .

♣ أنجـز ما لم يقدرعليه صلاح الدين الأيوبى ونابليون بونابرت .

♣ يراه مؤرخو الغرب المحدثين أحد أبطال مصر العظام . قيل فيه :

♣ فتيـهْ على الأملاك فخــرا بمــا   نلـت فأنت الملك الأشـــرف



مقدمـــة

يحدثنا المؤرخ الشهير شيلدون واتس Sheldon Watts ، فى إشارته إلى ضريح الأشرف خليل الأثري قائلا:

لا شك فى أن هذا البطل العظيم يستحق أكثر بكثير من هذا . فبينما تعلن حكومة مصر تخصيص مبالغ ضخمة لترميم الآثار والحفاظ عليها فى الأماكن التاريخية بالقاهرة، من المأمول أن تتمكن من توفيرالأموال والرعاية لإنقاذ هذا الأثر الهام للأجيال القادمة .

وأضاف (شيلدون واتس) أن الضريح الذي يبعد مسافة ٥٠٠ متر جنوب جامع بن طولون ، عبارة عن قبة عالية مبنية على قاعدة مربعة . أما المدخل فإنه بسبب ارتفاع مستويات الشوارع المجاورة على مدي ٧٠٠ سنة مضت ، نجده تحت مستوى الشارع بخمسة أمتار. ولذا فإن أرضية الضريح تغرق فى أشهر الشتاء فى مياه عفنة آتية من مصنع المثلجات المتاخم للمقبرة من الشامل ، ومن المبني السكنى المتاخم للمقبرة من الجنوب . وفى الإمكان مشاهدة شرخ ضخم من داخل القبة العظيمة من جهة الشمال الشرقي. وهناك فى ركن الجدار الخارجي من جهة الجنوب الشرقي أحجار بارزة تسندها عصا كبيرة من عصي المكانس .

فمن هو الأشرف خليل ؟ وماذا حرر؟ ومتى ولماذا تستحق هذه المقبرة إيلاء الإنتباه والرعاية ؟

كانت سنة ١٢٩١م ذات أهمية مركزية فى تاريخ مصر والشرق ، إذ أن الأشرف خليل ، مملوكنا السلطان ، أتم ما بدأه صلاح الدين عمليا ، ونظف الشرق كله من الغزاة الكفرة . وبالإستيلاء على مدينة عكا الساحلية فى شهر مايو من ذلك العام بدأ الأشرف خليل عصرا طويلا بقيت فيه مصر والشرق خالية من الحكم الأوروبي . ودام هذه العصر خمسائة وواحد وتسعين سنة إلى أن حلت سنة ١٨٨٢م ، انتهى فيها هذا العصر نهاية مخزية بالغزو البريطاني لمصر.

كان الأشرف خليل ما يزال شابا حينما اضطلع بالعمل الرائع الذي عبأ فيه القوات العسكرية فى مصر وسورية للهجوم على عكا التي كانت سجينة لدي المسيحيين منذ عام ١١٠٤م ، وكانت الميناء الرئيسى الذي يجري فيه بيع ومبادلة المنتجات التي لا غنى عنها لإستمرار حياة الغرب وإمداد الشرق بالسلاح .

وظن ملوك أوروبا وأمراؤها أن المماليك لا يرغبون فى قطع تلك التجارة الرابحة . ولم يفهموا فى جهلهم أن السلطان الأشرف خليل كان يضع نصب عينيه أن إنهاء الإحتلال المسيحى لفلسطين وسوريا له أهمية أعظم بكثير من الحفاظ على التجارة . وقد أثبت الحصار الرائع لعكا وانتزاعها أن المماليك أنفسهم كانوا ينتجون أكثر أنواع الأسلحة روعة واتقانا. ذلك أن قوات السلطان وهي فى داخل عكا برعت للغاية فى تدمير الجدران السميكة المحيطة بالبرج الإنجليزي والبرج الملعون ، وبذا تمكن جنود

السلطان وأمراؤهم بعماماتهم البيضاء من الإنتشار فى شوارع المدينة بسهولة.

فلماذا إذن يعرف المدرسون وتلاميذ المدارس كل شئ عن الملك الصليبى الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد الذي عاصر خصمه صلاح الدين ، لكنهم لا يكادون يتذكرون اسم الأشرف خليل الذي حرر البلاد ؟

ويستطرد (واتس) قائلا إنه بتحرير عكا وغزوها دأب الكتاب والإعلاميون فى إيطاليا وفرنسا وانجلترا على محاولة تفسير أسباب هزيمة أوروبا المأساوية . واستمرما بنوه من جدل يشكل جزءاً من الثقافة الأوروبية العامة لما يزيد على ٧٠٠ سنة تلت . وبعد الغزو البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م أدخِلَت تلك الأفكار فى مناهج المدارس الإبتدائية المصرية . ودائما ما يعرف عن الغزاة أنهم يعيدون كتابة تاريخ هؤلاء المهزومين .

وربما سار الأمر على ذلك النحو، ولكن ألم يحن الوقت لعلاج هذه الأوضاع ؟ إذ بنهاية الحكم البريطاني لمصرمنذ نحو نصف قرن ، كان ينبغى منح الأشرف خليل شرف الإعتراف بإسهامه العظيم الراسخ فى تاريخ مصر. وأرى أن تكون الخطوة الأولى إيلاء الإهتمام الواجب لمقبرته وبأسرع وقت ممكن .

أما الضريح نفسه ، وبغض النظور عن أهميته التاريخية، فإنه من الناحية الفنية والجمالية لا يستحق الإهتمام . فهو عبارة عن بوابة تؤدي إلى داخل هيكل

الضريح. وعلى الجدران توجد القاعدة الدائرية الكبيرة للقبــة ، تبرز منها ثمانية نوافذ بعوارض مِحْدَوْدِ بَـة من أعلى ، ويظهر تحتها باقة رائعة من الزخارف المجصصة لآيات من القرآن الكريم. وفى أسفل ، فى قاعدة القبة الدائرية نفسها ، تظهر النوافذ الثمانية ، ولا يزال بعضها يحمل ألواح الزجاج الأخضر والأزرق والأصفر، التي كانت تنشر الضوء على التابوت الحجرى .

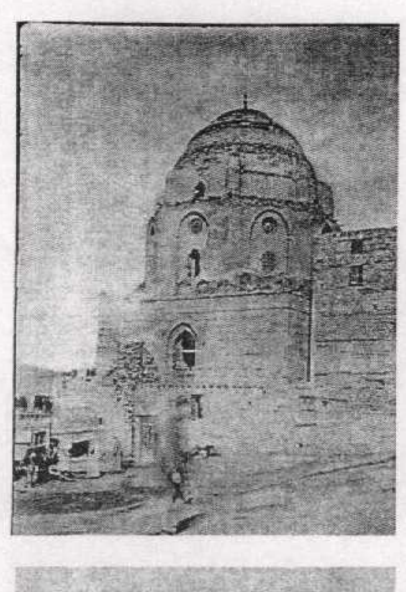
واختتم المؤرخ شيلدون واتس قائلا : "إن الأشرف خليل يستحق الإعتراف به أحد أبطال مصر العظام فى العصور الوسيطة " ، وأضاف : "إننى أتطلع لأن أري عمليات فورية لشفط المياه من المقبرة كمقدمة لإنقاذها ."

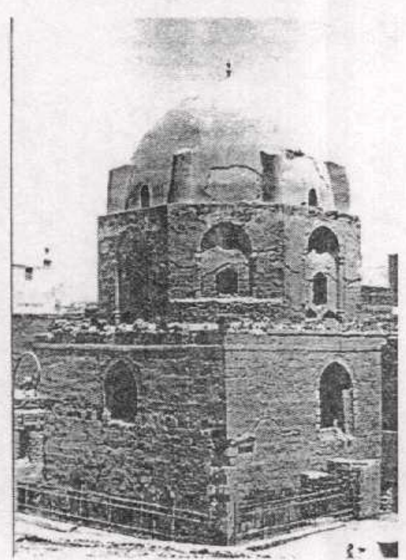
(Al-Ahram Weekly On-line)
(24 - 30 September 1998 Issue No.396)

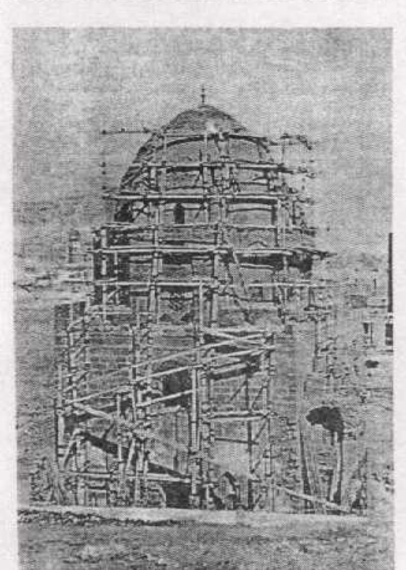
(الأهرام الأسبوعية على الشبكة الدولية)
(٢٤ ــ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٨م العدد ٣٩٦ ترجمة المؤلف)

(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)









ضريح الأشرف خليل بالقاهرة

ـــ المماليك.. ظاهرة فريدة

نعم، ظاهرة فريدة لم تحدث قبلهم ولم تتكرر بعد ذهابهم . أطفال وصبية يفقدون عائلاتهم فى الحروب ، أو يخطفهم النخاسون من بيوتهم ، ثم يُبْعدون عن موطنهم شمال البحر الأسود وتحديدا في البلاد التي كانت تعرف ببلاد الشركس ، ويبيعهم النخاسون فى أسواق النخاسة والعبيد فى الشرق .

ونعلم أن تجارة العبيد كانت منتشرة قبل المماليك وبعدهم ، وحتى زمن ليس ببعيد فى القرن التاسع عشر وما قبلـه فى الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن يجد العبيد أول خطوة خطاها أبراهام لينكولن على طريق تحريرهم .

ونعلم أن العبيد كانوا يساقون قسرا من أفريقيا مكبلين بالأصفاد الحديدية ، ثم تحملهم السفن كالماشية وتعبر بهم المحيط الأطلنطي ليعرضوا فى أسواق الرقيق وتقتضي حياتهم في عبودية لم يجربها حتى الحيوان ، هم وأولادهم وعائلاتهم . وكانوا جميعا يعملون الأعمال الوضيعة التي يأنف الرجل الأبيض القيام بها من تنظيف وعمل فى الحقول وما إلى ذلك .

لم يكن ذلك هو المتبع مع المماليك ، وإنما كان المملوك يوضع على طريق الجندية والتدرب على الحرب والقتال ، ويترقى إلى أن يصبح أميرا تحت إمرته مئات الفرسان وألوفهم ، بل كان المملوك يشغل منصب الوزارة ويقود الجيش أو الجيوش ، وفى النهاية يصبح المملوك ملكا سلطانا يهابه الملوك والعواهل .

نعم ، المماليك ظاهرة فريدة فى تاريخ البشرية حدثت مرة واحدة فقط .

ــ الإفتراء على المماليك

والمماليك مفترى عليهم حقا وصدقا. وما هذه السلسة (المماليك المفترى عليهم) إلا محاولة لإحقاق الحق ، ورفع الظلم والإفتراء عن هؤلاء المماليك الذين بهم يتألق تاريخ مصر والشرق بأسطع لألاء ، ويتشرف التاريخ العربي والإسلامى بأسمائهم وأفعالهم وتضحياتهم ، برغم معاول الهدم التى تنفث أحقادها عليهم ، وجهالات الجهلاء المنقادين كالسائمة وراء مقولات خاويات فارغات إلا من أساود سوداء حاقدة . فمن قائل إنهم كانوا يضطهدون الشعب المصري ، إلى عابث يدعى أنهم اتخذوا لأنفسهم ملابس خاصة بهم تميزهم عن باقى ابناء البلد ، وما إلى ذلك من خزعبلات ومقولات .

ومن الأسف الشديد أن أبناء مصر من غير المسلمين لا يصيبهم كلل من الطعن فى المماليك فى كل مناسبة وبغير مناسبة ، فيقول بعض الأقباط :

> "أما بالنسبة للأقباط فقد وقعوا تحت أضطهاد فى عصر حكم الملك برقه خان وتألموا من قسوة المماليك والمعاملة غير العادلة . أما الملك قلاوون وإن كان عادلاً فى الضرائب على رعيته ولكنه أتبع مبدأ المساواة بين الأقباط والمسلمين. أما من ناحية الإضطهادات فقد أسرع فى إستئناف التقييدات وكان من العادة أن يقع هؤلاء القوم البؤساء (الأقباط) تحت نير الإضطهاد من المسلمين كلما غاب السلطان فى الحروب مع أنه لم يكن أحد يستطيع من الحكام أن يصرف شئون البلاد الإدارية إلا الموظفين الدائمين من الأقباط والمسيحيين

إذ لم يكن لأحد من المماليك أو العرب الكفاءة التامة والقدرة على القيام بهذه المهمة فى إداره البلاد .

التصرف الوحشى لقلاوون:

وأستقر لقلاوون الأمر وهدأت الحروب الخارجية وتفرغ لشئون مصر الداخلية (يعتقد انه فعل هذا فيما بين وصايته كملك وأستيلائه للحكم) ولكنه تصرف تصرف سيئ جعل الشعب يسخط عليه مسلمين وأقباط - فلما حدث اضطهاد المسلمين للأقباط والهوجه من العامة فى أثناء غيابه فأراد ذلك الحاكم المملوك أن كما هى العادة من أمثاله أن يعطى درساً مؤلماً لرعيته إزاء السخط الشعبى الذى حدث فأطلق سراح جيشة من المماليك فى مدينة القاهرة فعاثوا فيها فساداً ونهباً وقتلاً ، ولم يحقق فى الأمر ليعرف المذنب من البرئ فى هذا الشعب المسكين ، فأصبحت الشوارع أنهار تجرى فيها الدماء وتكدست فيها جثث الرجال والأطفال والنساء لمدة ثلاث شهور كاملة .... "

(أنسكلوبيديا – Encyclopedia)
(موسوعة تاريخ أقباط مصر - history coptic)
(بقلم عزت اندراوس)

هذا نوع جديد من الإفتراء ، وللقارئ أن يطلع على كتابنا المماليك المفترى عليهم (٤) : المنصور قلاوون – بناء الحضارة ، ليرى أن قلاوون العظيم أبعد ما يكون عن ا لإضطهاد ، بشهادة أعداء الإسلام قبل المسلمين . وليس هنا مجال الرد على كل هذا الكلام الأجوف ، فقط نشير إلى الكتاب الأول من سلسة المماليك المفتري عليهم (شجرة الدر قاهرة الملوك ومنقذة مصر) فنجد أن أحد أقباط مصر خان أبناء

بلده مسلمين وأقباط على السواء وباعهم للملك لويس التاسع وقبض الثمن بعد أن قاد أعداء وطنه إلى مخاضة فى النيل عبرها الجيش الفرنس :

"خيانة قبطى مصرى
وفى بداية شهر فبراير جاء أحد أقباط مصر من سلمون إلى معسكر الصليبيين وعرض أن يدلهم على مخاضة لعبور البحر الصغير لقاء مبلغ خمسمائة بيزينت . وفى فجر الثامن من فبراير عبر الصليبيون المخاضة ومعهم الملك لويس وقاد أخوه روبرت كونت أرتوا المقدمة مع فرسان المعبد والكتيبة الإنجليزية ، وكانت لديه أوامر صارمة بعدم مهاجمة المصريين إلى أن يأذن الملك. ونجح العبور الصعب وإن كان بطيئا......"

تاريخ الحملات الصليبية) (للمؤرخ الإنجليزي السير ستيفن رانسيمان ــ ترجمة ا لمؤلف) *A History of the Crusade* by: Sir Steven Runciman

هذا فضلا عن أن نفس المؤرخ يقول عن السلطان قلاوون ما يلى :

" لقد كان سلطانا عظيما ، يضاهي بيبرس فى غلظته وقسوته ، وإنما يتميّز عنه بإحساس رفيع بالإخلاص والشرف . وعلي غير شاكلة بيبرس ، ترك قلاوون إبنًا جديرا بأن يخلفه ، ألا وهو الأشرف خليل الذي سوف يكون له شأنه "

هذه هى حقيقة قلاوون كما يعلنها غير المسلم : إحساس رفيع بالإخلاص والشرف ، فكيف يقدم ذو الإخلاص والشرف على اضطهاد أبناء شعبــه ؟

لا شك فى أن عزت أندراوس، عبقري موسوعة أقباط مصر، لم يدرج هذه الخيانة فى موسوعته التى لا تحمل مرجعا واحدا محايدا ، يستند إليه فى افتراءاتـه . وليس هذا نوع جديد من الإفتراء فحسب ، وإنما هو كذلك جحود وتنكر للمعروف وطمس للحقائق . ولا ندري ما هو الهدف من ذلك الإدعاء وتلك الأفكار الحاقدة على المماليك، وماذا يريد المتحدثون باسم الأقباط من شاكلة عزت أندراوس ؟ خاصة وأن الأقباط يعيشون فى هذا البلد منذ أن أنقذهم الفتح الإسلامى من اضطهاد الرومان الحقيقى ، ومن له دراية بالتاريخ يعلم جيدا اضطهاد الإمبراطور الرومانى ديوكليتيانوس للمسيحيين فى كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، وكانت مصر طبعا جزءً من الإمبراطوربة قبل الفتح الإسلامي . ونستأذن القارئ فى اقتباس قصير لما نقول :

Diocletian, Valerius Diocletianus (245-316), Roman emperor (285- 305), who restored efficient government to the empire after the anarchy of the 3rd cent. His reorganization of the fiscal, administrative, and military machinery of the empire laid the foundation for the Byzantine empire in the East. His reign is also knotted for the last great persecution of the Christian s.

ديوكليتيان فاليريوس ديوكلتيانوس: (٢٤٥-٣١٦م)،

امبراطور رومانى ٢٨٥-٣٠٥م)، أعاد الحكم الكفء للإمبراطورية الرومانية فى أعقاب فوضى القرن الثالث. وأعاد تنظيم الآليات المالية والإدارية والعسكرية للإمبراطورية الأمر الذى أرسى قواعد قيام الإمبراطورية البيزنطية فى الشرق. كما يشتهر حكمه كذلك بآخر اضطهاد كبير للمسيحيين .

Diocletianic Era, i.e. from Diocletian's accession (285); also known as the ***Era of the Martyrs.*** see *prec.*

العصر الديوكليتيانى، أى من سنة تولى ديوكليتيان عرش الإمبراطورية الرومانية (٢٨٥م)؛ ويعرف أيضا باسم عصر الشهداء ***Era of the Martyrs*** (أنظر المادة السابقة)

يشتهر حكمه كذلك بآخر اضطهاد كبير للمسيحيين.

English / Arabic Dictionary of the
Three Heavenly Religions
Judaism-Christianity-Islam
P-172
By: Noureldin Khalil
Revised by: Mahmoud Adam

ومهما يكن من أمر ، فإننا لا ننساق وراء جدل عقيم ، وإنما كان لا بد من رد على ما يقال ، وأكتفى بالإقتباسين المذكورين أعلاه ، وهما لإثنين من عقلاء المسيحيين ، من المنصفين لأنهما يتوخيان الحق والعلم والحفاظ على التراث الإنسانى فى تجرد

من الهوى ومن التعصب . ذلك أن شيلدون واتس Sheldon Watts الذي يرد في مستهل هذه المقدمة والسير ستيفن رانسيمان Sir Steven Runciman مؤرخان مسيحيان عصريان ، من كبار العلماء ، لا يفتريان على مسلم أو مسيحيى ، وهناك الكثير ممن هم على شاكلتهما ، وليس هنا مجال الإسهاب في الحديث عن حيادهما .

وتبقى كلمة أخيرة تتعلق بالسموم التى ساقها عزت أندراوس عبقرى الموسوعة القبطية حول وحشية قلاوون فنسوق هذا الإقتباس :

> ولقد وصف ابن بطوطة البيماريستان المنصوري وقال إنه يعجز الواصف عن محاسنه ؛ إذ كان مقسماً إلى أربعة أقسام: الحميات والرمد والجراحة والنساء وخصص لكل مريض فرش كامل، وعين له الأطباء والصيادلة والخدم، كما زود بمطبخ كبير.
>
> وكان المريض إذا ما برئ وخرج مُنح منحة وكسوة، وقدرت الحالات التي يعالجها المستشفى في اليوم الواحد بعدة آلاف، وألحقت به مدرسة للطب يجلس فيها رئيس الأطباء لإلقاء الدروس.
>
> والوثيقة التاريخية التي ترجع إلى عهد المماليك بمصر تبين بجلاء تلك النماذج المشرقة لأوقاف المسلمين لإقامة المشافي وعلاج المرضى، فتقول الوثيقة: أنشئ هذا المارستان (مستشفى قلاوون) لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء الموسرين والفقراء المعوزين بدمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة من المقيمين بها والوافدين عليها على اختلاف أجناسهم وتباين أمراضهم، يدخلون

جماعة وفراداً، وشيباً وشباناً ويقيم بـه المرضـى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم لحين برئهم وشفائهم، ويصرف ما هو معد فيـه للمداواة، ويفرق على البعيد والقريب والأهل والغريب، ويصرف الناظر من ريع الوقف ما تدعو حاجة المرضى إليه من سرر جريد أو خشب على ما يراه مصلحة – أو لحف محشوة قطناً، فيجعل لكل مريض من السرر والفرش على حسب حاله وما يقتضيه مرضه عاملاً في حق كل منهم بتقوى الله وطاعته، باذلاً جهده وغاية نصحه، فهم رعيته وكل راع مسؤول عن رعيته.

ويباشر المطبخ بهذا البيمارستان ما يُطهى للمرضى من دجاج وفراريج ولحم، ويجعل لكل مريض ما طبخ له في زبدية خاصة به من غير مشاركة لمريض آخر ويغطيها ويوصلها لكل مريض إلى أن يتكامل إطعامهم ويستوفى كل منهم غذاءه وعشاءه وما وصف له بكرة وعشياً.

(المماليك المفترى عليهم (٤) المنصور قلاوون)
(بناء الحضارة ص ١٠٢ و ١٠٣ للمؤلف)

وبعد – كان الأحرى بالمواطن المصرى القبطى ، إذا خلصت النوايا وحسنت المقاصد ، أن يتوخى الحياد والموضوعية كما يتضح من زميليه المسيحيين المؤرخين المذكورين ، بل القبطى المصرى أحرى بالحياد لأنه نشأ على أرض مصر وارتوي من نيلها ، ونعم بمعايشة أبناء وطنه من المسلمين طوال أربعة عشر قرناً ، لا أن ينشر كلاما لا أساس له من صحة أو سند ، مما يشعل نار الفتنة ولا يخدم أية

قضيــة ، سوى الإنسياق وراء أوهام ليست قطعـا فـى صـالح الأقبـاط ، فـالغلاة منهم يظنون أنهم فى حماية أمريكا ، ولأمريكا هذه حديث آخرينصب على العبودية كما يلــى.

ــ مرة أخري .. مماليك أم عبيــد ؟

أشرنا فيما مضى إلى أن المؤرخين الغربيين أطلقوا على المماليك لفظ عبيد slaves ، لأن المماليك كانوا يباعون فى أسواق النخاسة من ناحية ، ومن الناحية الأخرى لم يجدوا مقابلا للكلمة العربية (مملوك) سوى ما يقابلها فى لغاتهم owned، وربما كان لهم العذر فى اختيار اللفظ الأول slaves .

ولا يعرف التاريخ الإنسانى على اتساعه ظاهرة مماثلة لظاهرة المماليك . ذلك أن العبيد كانوا يمثلون عنصرا أساسيا فى فجر الحياة الإنسانية ، وقبل أن يتفتح العقل الإنسانى ويرتقى إلى ما وصل اليه الآن من مستوى محدود من النضج فيما يتعلق بهذه الظاهرة . والمجتمعات فى تطور دائم ، والأمم فى تقدم قلما يتوقف ، والإنسان يخطو خطوات واسعة نحو الأفضل والأجدي ولنأخذ مثلا عبيد أمريكا :

ــ زنوج أمريكـــا

كان تجارالعبيد يسوقون الأفارقة كالحيوانات فى السفن المبحرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية :

- ♣ ١٥٠٢م ، وهو العام الذي يعرف بأن تجارة العبيد حد ثت فيه لأول مرة .
- ♣ ١٨٦٣م ، أصدر أبراهام لينكولن بيان تحرير العبيد الذي منح العبيد الحرية .

أكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن مضت والأمريكى الأبيض يمارس التفرقة العنصرية ببراعة تفوق الوحوش ، ولا يزال فى أمريكا ولايات تمارس العنصرية برغم ما حققه الأمريكى نفسه من انتصار علمي حمله إلى الفضاء الخارجى والكواكب ، وغاص به فى أعماق البحار .

ولأن العبد خُلق أسود اللون بسبب حرارة الشمس الشديدة فى أفريقيا ، فإنه يباع ويشترى فى هذه الدنيا الجديدة التى جمعت حثالة البشرية الأوروبية . ولا يخفى أن أوروبا كانت تطرد المجرمين والعاطلين والصعاليك والغوغاء إلى الدنيا الجديدة فى عصر أطلقوا عليه عصر النهضة Renaissance ، النهضة من عصور الظلام Dark Ages بطبيعة الحال .

وقد أطلق الأمريكيون على هؤلاء العبيد لفظ نيجـَر negger ، لفظ عامي يعنى (الأسود) وهو بالغ الإساءة ، يحمل كل معانى الإمتعاض والغثيان من أي إنسان أسود ، ثم استخدم الأمريكى لفظ negroes على الأفارقة السود وهو يقابل لفظ (الزنوج) وبعد أبراهام لينكولن كان يطلق عليهم مجرد Blacks أي السود . والإضطهاد قائم ومستمر بطبيعة الحال ، حتى القرن العشرين . وامتد الإضطهاد إلى جماعات مريضة فى عقولها أشهرها جماعة (كوكلوكس كلان Kukluks Klan) ولها تارخ أسود فى قتل الزنوج وسحقهم حتى هذه اللحظة .

وأخيرا ، يبذل المجتمع الأمريكى محاولات للتجمّل والتزيـّن ، فأطلق على عبيد الأمس (الأمريكيون الأفارقة African Americans) وبعضهم يشغل مناصب رفيعة مثل وزراء خارجية ـ واضطهاد السود لا يزال يـُمـَارس فى واقع الأمر . ولكنه تطور على أية حال .

ـ المماليك... تسميـة ناقصـة

أغلب الظن أن لفظ المماليك (ومعناها المملوكين) جاء بعد تردد وتخبط وحيرة عندما بدأت أعمال النخاسة وخطف الأطفال . إ لم يستطع النخاسون وتجار الرقيق أن يطلقوا على بضاعتهم لفظ العبيـد ، أن العبيد كانوا فى ذلك الوقت سود اللون يجمعونهم من أفريقيا. كما لم يستطع النخاسون أن يطلقوا على اللمماليك لفظ الزنج أو الزنوج لأن الزنوج ـ كما يعرفهم لسان العرب ـ جيل من السودان .

وربمـا سـارت الأمـور فـى بدايـة الأمـر علـى عواهنهـا ، فكانـت التـسمية : الممسوكين ، أو المنقولين ، أو ما إلى ذلك مما يشير الى هؤلاء المأسورين الذاهبين إلى أسواق بيع وشراء الإنسان . ولا نعرف متى وأين أطلق عليهم اسم " المماليك " ، غير أننا نرجح أن هذه التسمية جاءت بعد بيع هؤلاء الأطفال ، فيقال عن الواحد منهم هذا مملوك الأمير فلان ، وذاك مملوك لغيره . وعلى سبيل المثال كان اسم قلاوون هو سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمي . ولفظ الألفى يشير إلى أن قلاوون بيع بألف دينار ، ولفظ الصالحى يشير الى مالك قلاوون وهو الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكذلك لفظ النجمي يشير الى نجم الدين أيوب مالك قلاوون .

وعلى ذلك لا بد أن يكون هناك "مالك" يمتلك "المملوك" ... فإن لم يكن هناك مالك يمتلك المملوك ، فلا بأس من أن يُطلق عليه لفظ "مملوك" ... ولا حاجة لأن يُذكر المالك .

ونـستطيع أن نتخيـل المستـشرقين فـى تـرجمتهم للفـظ "مملـوك" ... فهـو بالإنجليزية مثلا ***OWNED*** ، والإنسان المملوك ما هو إلا عبد ***SLAVE*** . وربما يتوخى المستشرق أو المؤرخ الأجنبي السلامة ويطلق عليه التسمية الأصلية ***MAMLUKE*** ثم

يشرع فى شرحها بلغته هو سواء الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها حتى **يعلم القارئ** أن المملوك يختلف عن العبد ***slave*.**

ثم تأتى المشكلة الكبيرة عندما يتبوأ المملوك عرش السلطنة أو **يشغل منصب** نائب السلطنة أو آخر القلعة أو قائد الجيش أو غير ذلك من المناصب **الرفيعة** فى الدولة . فلم نقرأ الإسم ومعه "مملوك"، فمثلا لا يتحدث مؤرخ أو **مستشرق** عن (المملوك الظاهر بيبرس) ، أو (المملوك سيف الدين قطز) ، وإنما (**السلطان الملك** الظاهر بيبرس ، أو الملك السلطان سيف الدنيا والدين قلاوون) .

ـــ مثال الأفريقي الأمريكي :

كان حريا بالعرب والمسلمين أن يطوّروا هذه التسمية ، على **الأقل** عرفانا لما قدموه للعرب والمسلمين من معجزات شتى بدءا من هزيمة الفرنسيين **فى** مصر وأسر قديسهم لويس التاسع وجيشه العرمرم ، مرورا باسترداد **كبريات** المدن العربية والإسلامية ، كطرابلس وأنطاكية واللاذقية وغيرها ، ثم فتح عكا **وباقى** المدن الساحلية ، و صد الهجمات المغولية حتى بعد تفريغ الشرق من الصليبيين.

كان حريا أي يطلق عليهم (مماليك الله ، **مماليك الإسلام ، مماليك** الرحمن ، مماليك الأمة ، مماليك الجهاد ، مماليك الشرق الناهض **أو مماليك** النصر، أو غير ذلك من عشرات الأسماء ، كما فعل مواطنو الولايات **المتحدة** ، وأصبح عبيدهم ، أو الأفارقة الأمريكان ، يشغلون اعلى المناصب فى **الدولة** . ولا نسترسل الآن ، ولكن عود إلى نبذ الإفتراء على المماليك كبداية .



العبودية : فخر الحضارتين الإنجليزية والأمريكية

Black page in human history

صفحة سوداء فى التاريخ الإنسانى

ولقد استقر لفظ المماليك فى لغتنا العربية وفى تاريخ مصر والشرق ، ليس له سوى دلالة واحدة تنصرف الى هؤلاء السلاطين العظام الذين حملوا رسالة الدفاع عن الشرق وإنقاذه من البرابرة المغول ، وأقرانهم الصليبيين .

ومن عجب أن يطلق على بيبرس مثلا لفظ مملوك ، وهو الذي أقام الدنيا وأقعدها ، وهدم ممالك وأسر الجموع حتى تغنوا بسيرته إلى اليوم . من يا ترى كان مالكه عندما كان يأمر فيطاع ؟ وقلاوون (أبو الملوك) من كان مالكه ؟

الإسكندرية فى ٢٥ مايو ٢٠٠٧م　　　　　　نورالدين خليل

الفصل الاول

عَكّا
قبل الأشرف خليل

- عكّا : النشأة والتطور التاريخى
- ١١٠٤م استيلاء الصليبيين على عكا
- ١١٨٧م استيلاء صلاح الدين على عكا
- ١١٨٨م عكا مع الصليبيين مرة أخرى

ــ عَكّــا : النشأة والتطور التاريخى

مدينـة عكـا الساحلية مـن أقدم المدن فـى العـالم . وتقـع علـى نتـوء جبلـى فـى الطرف الشمالى لخليج حيفا فى فلسطين المحتلة على ساحل البحر الأبيض المتوسط . ويعتقد أن المدينـة القديمـة بـُنيت فـى العصر البرونـزي فـى موقـع يطلـق عليـه (تـل الفخّـار) ، إلى الشرق من المدينة الحاليـة . ويرجـع تاريخهـا إلـى الفرعـون المصرى تحتمس الثالث (١٥٠٤ ــ ١٤٥٠ قبل الميلاد) .

واحتلها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٦ قبل الميلاد ، كمـا احتلهـا بطليمـوس الثـانى الذى حكم فى الفترة من ٢٨٥ إلى ٢٤٦ قبل الميلاد ، وأعاد تسمية المدينـــة ، وسـماها باسمه بطليموسيـة Ptolemais .

وكانت عكا القاعدة الرئيسية للرومـان عندما أخمدوا تمـردا يهوديـا فـى سنـــة ٦٦ــ٧٠ للميلاد . وقام الرومان بتوسيع وتحسين المرفأ الطبيعى فـى الطـرف الجنوبى من المدينـة ، وأنشأوا حـاجز أمـواج ، وبذا أصـبحت أحد المـوانئ الرئيسية على الساحل الشرقى للبحر المتوسط .

ومـن بين الغـــزاة المتـــأخرين الـذين غـــزوا عكـا الفـــرس فـى سنـــة ٦١٤م والعـرب ٦٣٨ م والصليبيـون ١١٠٤ م ، وأطلق الصليبيون علـى المدينـــة إســـم (القديسـة جـان العكاويـة St. Jean d'Acre). وكانـت عكـا آخـر عاصـمة للممالـك والإمارات الصليبية كما سنري .

وهى مدينة حافلة بالمتعرجات التي تشعرك بأنك تتحرك فى متاهة من الشوارع والحارات الضيقة وتكتشف بقايا وأطلال المسلمين والصليبيين والعثمانيين . كما أن السائر بطول الأسوار يمتع ناظريه بمنظر البحر الرائع وبمدينة حيفا. ويحيط بعكا جدار محصّن ، على موقع المدينة الحالية .. وفى واقع الأمر فإن ميناء عكا يحظى بحماية جيدة ، والمدينة محصّنة بميناء عميق القاع ، وبذا تنعكس أهميتها فى الأحداث التى مرت بها خلال فترة الحملات الصليبية .

ـ ١١٠٤م استيلاء الصليبيين على عكـــا

نحن الآن فى السنوات الأولى من القرن الحادي عشر ، وتحديدا فى عام ١١٠٣م ، وعكا تحت الحكم الفاطمى . وكان الصليبيون قد أفلحوا فى إنشاء مملكة القدس قبل ذلك بأربعة أعوام باحتلالهم مدينة القدس فى سنـة ١٠٩٩م ، وارتكابهم المجازرَ الرهيبة الشهيرة.

> "... وفى ربيع ١١٠٣م حاصر بالدوين عكا بمساعدة بعض السفن الإنجليزية التي كانت لا تزال معه ، وأوشكت الحامية على الإستسلام لولا وصول إثني عشر قادسا فاطميا وعدد كبير من سفن النقل القادمة من صور وصيدا تحمل الرجال وآلات إطلاق النيران الإغريقية ، فلم يجد بالدوين مفرا من رفع الحصار..."

"... وفى مايو التالى ١١٠٤م وصل إلى حيفا من جنوا أسطول حربى سبق وأن ساعد ريموند التولوزي فى الإستيلاء على جبيل . وقابل بالدوين قادته وضمن تحالفهم لإخضاع عكا بعد أن وعدهم بما اعتادوا عليه من قبل ، وهو ثلث الغنائم وامتيازات تجارية وأحد الأحياء فى السوق ؛ وبدأ الحلفاء حصار عكا يوم ٦ مايو . وقاومهم القائد الفاطمي ظهر الدولة الجيوشى مقاومة عنيدة ؛ لكن مصر لم ترسل إليه أية مساعدة ، فاضطر بعد عشرين يوما إلى أن يعرض التسليم بشروط مماثلة لشروط استسلام أرسوف ، وهى السماح بالمرور الآمن للمواطنين الراغبين فى الرحيل مع منقولاتهم ، ومعاملة الباقين كرعايا للملك الفرنجى . وقبل بالدوين الشروط والتزم بها ، بل وأمر بالإبقاء على مسجد لرعاياه المسلمين . أما بحارة إيطاليا فقد أبوا أن يتركوا تلك الثروة الهائلة تفلت من أيديهم ، فانقضوا على المهاجرين وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوهم جميعا ، مما أغضب بالدوين وهمّ بمهاجمة أبناء جنوا لمعاقبتهم ، لول-أن وصل البطريق إيفرمان وأفلح فى تهدئته ومصالحته بهم . وبسقوط عكا نال بالدوين ما كان يصبو إليه من مرفأ آمن فى شتى الأجواء المناخية . وبرغم بعد الشقة عن القدس بما يزيد على مائة

ميل ، سرعان ما أصبحت عكا الميناء الرئيسى للمملكة
بدلا من يافا بممراتها المائية المفتوحة . وفضلا عن ذلك،
كانت عكا هى الميناء الرئيسى الذي تشحن منه بضائع
دمشق إلى الغرب ، ولم يتوقف هذا الطريق التجاري بعد
الغزو الفرنجى ، وإنما شجعه مسلمو عكا المقيمون بها "

A History of the Crusades, vol.3
By Sir Steven Runciman
(تاريخ الحملات الصليبية جـ٣ ص ١١٨ ـ ١١٩)
(للسير ستيفن رانسيمان ـ ترجمة المؤلف)

ـ١١٨٧م استيلاء صلاح الدين على عكـا

١ ـ انتصار صلاح الدين الأيوبى فى حطين

فى نفس ذلك العام حقق صلاح الدين الأيوبى انتصاره الكبير على الجيش الصليبى فى معركة حطين . ذلك أن الجيش الصليبى كله سار من صفورية إلى طبرية عبر طريق شمالى بحيرة طبرية ، وكان معسكر صلاح الدين فى كفر سبت على طريق البحيرة أيضا ، وسار قرابة خمسة أميال عبر تلال حطين حيث يهبط الطريق باتجاه البحيرة ، وانضم اليه هناك أغالب جنوده .

وسار الجيش المسيحى على التلال العارية من الأشجار، وكان الطريق بطوله خاليا من المياه مما أدى إلى معاناة الجيش من الظمأ رجالا وجيادا على السواء . وفى

عصر الجمعة ٣ يوليو وصل الفرنج الى الهضبة التى تعلو حطين مباشرة . وأرسل فرسان المعبد يخبرون الملك جوي عدم استطاعتهم المضى أكثر من ذلك فقرر التوقف تلك الليلة ، ما أن سمع ريموند قائد المقدمة بذلك حتى عاد على جواده من المقدمة صائحا : "آه أيها الرب الإله ، لقد انتهت الحرب ، إنما نحن رجال موتى ، لقد انتهت المملكة" . وأخذا بنصيحته ضرب الملك جوي معسكره باتجاه المنحدر حيث يوجد بئر تحلق حوله الجيش كله، على أنهم أساءوا اختيار الموقع، إذ كان البئر جافا . ولم يملك صلاح الدين ضبط مشاعر غُبطته وهو ينتظر فى الوادي المخضوضر بأسفل . لقد جاءته فرصته أخيرا . وانتهت معركة حطين بالقضاء على الجيش المسيحى كله ،ومن ثم استسلمت فلسطين كلها تقريبا لصلاح الدين .

٢ ــ استسلام عكا

نقل صلاح الدين سواد جيشه جنوبا الى عكا . ولم يكن القهرمان جوسلين (أوف كورتناي) يفكر إلا فى سلامته الشخصية . فأرسل مواطنا يدعى بطرس بريس لمقابلة صلاح الدين عندما جاء أمام الأسوار يوم ٨ إبريل يعرض الإستسلام إذا ضمن أرواح وممتلكات السكان . وبدا للكثيرين فى المدينة أن من العار أن تستسلم المدينة هذا الإستسلام الذليل ، فحدثت أعمال شغب لفترة قصيرة أحرقت فيها عدة منازل ؛ لكن النظام استتب قبل استيلاء

صلاح الدين على المدينة رسميا فى العاشر من الشهر .
وكان يعلق الآمال على اقناع أغلب التجار المسيحيين
بالبقاء هناك ، لكنهم كانوا يخشون المستقبل فهاجروا
ومعهم كل ممتلكاتهم . ووجد المنتصرون مخزونات هائلة
من البضائع والحرير والأدوات المعدنية والمجوهرات
والأسلحة التى تخلى عنها التجار ، فراحوا يوزعونها على
الجنود والرفاق، بإشراف إبن صلاح الدين الأفضل الذي
أعطيت له المدينة . أما مصنع السكر الضخم فقد انتهبه
تقى الدين مما ضايق صلاح الدين . وبينما مكث صلاح
الدين فى عكا ، كانت كتائب من جيشه تتسلم المدن
والقلاع التي تستسلم فى الجليل والسامرة .

المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٥١٩

ــ ١١٨٨م عكا مع الصليبيين مرة أخرى

انتصر صلاح الدين الأيوبى على الجيوش الصليبية كلها فى معركة حطين الشهيرة ، واستسلمت له القدس ، بل فلسطين كلها تقريبا بمدنها وقلاعها ، فيما عدا كونتية طرابلس التى كانت تضم أنطاكية واللاذقية، وكذا صور وصيدا وبعض القلاع المتناثرة . وقد شهدنا استسلام عكا لصلاح الدين ، فكيف استولى عليها الصليبيون المهزومون ؟

إن أفضل وأصدق سرد تاريخى لإستيلاء حفنـة من المهزومين على عكا وفيها حامية صلاح الدين وجنوده بعد الإنتصار يرد فى موسوعة السير ستيفن رانسيمان المعنونة "تاريخ الحملات الصليبية " :

(......................

كتبت الملكة سبيلا مرارا وتكرارا إلى صلاح الدين تتوسل إليه أن يعيد إليها زوجها. وفى يوليو أجابها صلاح الدين إلى طلبها ، وبعد أن أقسم جوي أغلظ الإيمان بأنه سوف يعبر البحر عائدا إلى بلاده وأنه لن يحمل السلاح قط فى وجه المسلمين أُرسل مع عشرة من أبرز أتباعه بمن فيهم الكونستابل أماليريك إلى طرابلس للإنضمام الى الملكة .

....

١١٨٨م : المنافسة بين جوى وكونراد

وانسحبت الملكة سبيلا إلى طرابلس ، ......ولحق بها زوجها الملك جوي فور إطلاق سراحه ، وعلى الفور عثر على أحد القساوسة الذي حرره من قسمه الذي أقسمه لصلاح الدين . إذ كان قسما تحت الإكراه، ولأحد الكفرة، ولذا قالت الكنيسة إنه قسم باطل . وأغضب صلاح الدين أن يسمع بذلك، غير أن دهشته جاوزت كل حد. وبعد أن زار جوي أنطاكية حيث وعده بوهمند وعدا مبهما بالمساعدة ، سار مع مناصريه من طرابلس إلى صور منتويا الإستيلاء على ما تبقى له من مملكته

الغـابرة . وأغلـق كـونراد البوابـات فـي وجهــه ، فكـان كـونراد وحزبه يرون أن جوي قد خسر المملكة فى حطين وأثناء أسره ، وقد تركها بلا حكومة ، وكان كل شيئ خليقا بالضياع لو لا تدخل كونراد . ولمـّا طلب جوي أن يجرى استقباله كملك ، كـان رد كونراد أنه يحتفظ بصور أمانة لعواهل الصليبيين الآتين لإنقاذ الأراضى المقدسـة ، وعلى الإمبراطور فريدريك وملكي فرنسا وانجلترا أن يقرروا لمن يُـعطى الحكم فى نهاية الأمر. وبدا الجدل عادلا ويناسب كونراد تماما ؛ إذ ربما يحظى جوي فى مطلبـه بتأييد ريتشـارد ملك انجلترا ، وهو السيد الأعلى للوسينيين فى جيين ، بجنوب غرب فرنسا ؛ ولكن الإمبراطور فريدريك وفيليب ملك فرنسا من أبنـاء عمومـة كونراد ومن أصدقائه ، وعاد جوي مغتمّا مع حزبه إلى طرابلس ....

وفى ابريل عاد جوي مع سبيلا إلى صور. ومرة أخرى طلب منحه السيطرة على المدينة ، ولما وجد كونراد شديد العناد كسابق عهده ، عسكر أمام أسوار المدينة. وفى نفس الوقت تقريبا وصلت تعزيزات قيّمة من الغرب . ففى وقت سقوط القدس ، كانت مدينتا بيزا وجنوا تخوضان واحدة من الحروب المعتادة بينهما . ومن بين انجازات البابا جريجورى الثامن أثناء بابويته القصيرة مفاوضات الهدنة بينهما والوعد بأسطول من بيزا فى حملة صليبية . وأبحر أبناء بيزا قبل نهاية العام

لكنهـم أمـضوا الـشتاء فـى مينـــاء ميـسيـنـا الواقـع شـمال شـرق صقلية ، ووصلت سفنهم البالغ عددها اثنتين وخمسين سفينة إلـى صــور يـوم ٦ ابريـل ١١٨٩م ، تحــت قيـادة أوبالــدو رئــيس أساقفتهـم . ويبـدو أن أوبالـدو تـشاجر مـع كـونراد فـور وصـوله مباشـرة ، وعنـدما ظهـر جـوى انـضم إليـه أبنـاء بيـزا . كمـا فـاز بتأييـد القـوات الـصقلية التـي انـضمت إليـه . وفـى بدايـة الـصيف حدثت بعض المناوشات الطفيفة بين الفرنج والمسلمين ، غير أن صلاح الدين كان ما يزال يرغب فى أن تستريح جيوشه ، وكـان المسيحيون ينتظـرون المزيـد مـن المساعدة مـن الغـرب . وفجـأة هدم الملك جوي معسكره فى نهاية أغسطس وانطلق مـع أتباعـه جنوب الطريق الساحلى للهجوم على عكـا ، وأبحـرت سـفن بيـزا وصقلية بمحاذاته .

١١٨٩م : جوي يصل أمام عكا

وكانـت تلـك حركـة مـن حركـات التهـور اليـائس ، وقـرار رجـل شجاع لكنه فى ذات الوقت غايـة فـى الحماقـة . فبعد أن أحبطـت رغبـة جوي فى أن يحكم صور، شعر بحاجتـه الملحـة إلـى مدينـة يستطيع منها أن يعيد إنشاء مملكته . وكان كونراد آنذاك فى شدة المرض ، ورأي جوي الفرصـة سانحة لكي يُظهر أنه هو القائد النـشط للفـرنج ، لكـن المخـاطرة كانـت هائلـة ، ذلـك أن حجـم الحامية الإسلامية فى عكا يجاوز ضعف حجم جيش جوي كله ،

فضلا عن وجود قوات صلاح الدين النظامية فى متناول اليد . ولم يكن أحد يتوقع النجاح لهذه المغامرة ، لكن للتاريخ مفاجآته . فإذا كان كونراد بطاقته الجامحة هو الذي أنقذ بقايا فلسطين للعالم المسيحى ، فإن حماقة جوى الطائشة هى التى حولت المد وبدأ حقبة جديدة من إعادة الغزو .

....

وصل جوي إلى مشارف عكا يوم ٢٨ أغسطس وضرب معسكره على تل تورون ، حاليا تل الفخار ، الذي يبعد مسافة ميل شرقى المدينة ، على نهر بيلوس الصغير كي يتزود رجاله بالماء . وبعد ثلاثة أيام فشلت محاولته الأولى فى الهجوم على المدينة ، فلبث ينتظر التعزيزات .

....

١١٨٩م : صلاح الدين ينتقل إلى عكا

شعر صلاح الدين بخطر التعزيزات ، وبدأ يستدعى أتباعه مرة أخرى فجاءوا مع جزء من جيشه من قلعة بيوفورت .... ولم يفلح هجومه على معسكر جوي يوم ١٥ سبتمبر ، غير أن ابن أخيه تقى الدين تمكن من اختراق خطوط الفرنج وإقامة اتصال مع البوابة الشمالية للمدينة ، وضرب معسكره هو نفسه إلى الشرق قليلا من معسكر المسيحيين . وسرعان ما شعر الفرنج بقدرتهم على أخذ زمام الهجوم . ... وفى ٤ أكتوبر ،

وبعد أن حصن الفرنج معسكرهم الذي تركوه تحت قيادة جودفرى أخى جوى ، شنوا هجوما كبيرا على خطوط صلاح الدين . وكانت معركة مريرة ؛ ذلك أن تقى الدين الذى كان على ميمنة العرب انسحب تمويها لينصب كمينا لفرسان المعبد الذين كانوا قبالته ، لكن صلاح الدين لم ينتبه للمناورة وانطلق لإنقاذه فأضعف واسطة جيشه وكانت النتيجة أن تداعى الوسط والميمنة فاستداروا هاربين بعد أن نزلت بهم خسائر فادحة ..... لكن ميسرة العرب كانت متماسكة ، وعندما تفرقت صفوف المسيحيين لمطاردة الهاربين ، هاجمهم صلاح الدين بالميسرة وردهم وهو يفرون فى فوضى إلى معسكرهم الذي كان يتعرض فى نفس الوقت لهجوم عنيف قامت به حامية عكا . وصمد جودفرى أوف لوسينان فى المعسكر ، وسرعان ما أصبح الجزء الأكبر من الجيش المسيحى آمنا خلف دفاعاته ، ولم يشأ صلاح الدين أن يجازف بمهاجمتهم . وسقط الكثير من فرسان الفرنج على أرض المعركة ومن بينهم آندرو أوف برين ، وأصيب الجنود الألمان بالذعر ولحقت بهم خسائر جسيمة ، كما كانت خسائر فرسان المعبد جسيمة هى الأخرى ، أذ أُسر سيدهم الأعظم جيرار أوف ريدفورت ، وهو الذي كان يمثل العبقرية الشيطانية للملك جوي فى الأيام التى سبقت حطين ، ودفع حياته

ثمنا لحماقاته . ولم ينقذ كونراد نفسه سوى تدخل غريمة الشجاع الملك جوي .

ولقد كان النصر فى جانب المسلمين ، وإن لم يكن كاملا ، إذ لم يبرح المسيحيون مكانهم ؛ وأثناء الخريف جاءهم المزيد من المساعدة من الغرب ، فقد وصل أسطول اللندنيين فى نوفمبر

....

وجاء صليبيون آخرون كثيرون من نبلاء فرنسا ومن فلاندرز وايطاليا وحتى من هنجاريا والدانمارك . ... وبهذه القوات الإضافية تمكن الفرنج من استكمال حصار عكا من البر . لكن صلاح الدين كان يتلقى التعزيزات هو الآخر ، إذ أن أنباء ارتحال الإمبراطور فريدريك باربااروسا التى شجعت المسيحيين دفعت صلاح الدين إلى استدعاء أتباعه من سائر أنحاء آسيا .... وسرعان ما غدا جيشه ضخما بما فيه الكفاية لكي يحكم بدوره حصار المسيحيين أو يكاد ؛ وإذن أمسى المحاصِرون محاصَرين . ...)

المرجع السابق ، جـ٣ ص ٥٦ ـ ٦٢

وتمكن جوي من الصمود ، وحدثت اختراقات لجيش جوي ، كما تصادف وصول تعزيزات إضافية من صور ومن وراء البحار ، وتواصل الخريف بالشتاء ، وأجبر الطرفان على التوقف فى شتاء عام ١١٩٠ م ، وحاصرت المجاعة

المعسكرين ، لكنها كانت أشد وطأة على الصليبيين، فكانت عملة البنس (الدرهم الصغير) فى معسكرهم ثمنا لمجرد ثلاث عشرة حبة من الفاصوليا . ووصلت صلاح الدين تعزيزات من الشمال ، وصار الحصار محكما حول معسكر الفرنج . على أنه فى شهر مارس ، وقد بدت أوضاع الصليبيين باعثة على اليأس ، وصلت سفن التعزيزات للصليبيين لا تحمل الغذاء فحسب، وإنما تحمل أيضا أنباء مفادها أن ملكى فرنسا وانجلترا قد وصلا أخيرا إلى مياه الشرق ، وكان ذلك بعد مرور أربع سنوات على معركة حطين . ونزل ملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد فى معسكر الصليبيين ، مما أثار بهجة عارمة وتمكن الفرنسيون والإنجليز من التفاوض سرا مع الحامية التى قررت فعلا الكف عن الكفاح ، وكانت شروط الصليبيين أن تستسلم عكا بكل ما فيها من سفن ومخزونات عسكرية ، وتدفع مئتى ألف قطعة ذهبية للفرنج والإفراج عن ألف وخمسمائة سجين مسيحى ومعهم مائة سجين من الجنود ، بأسمائهم المحددة ، وإعاده الصليب الحقيقى . فإذا نفذت الحامية هذه الشروط فسوف يبقى أفرادها على قيد الحياة .

وسبح أحد أفراد الحامية إلى اليابسة وأنبأ صلاح الدين بما اتفق عليه وأن يقوم هو بتنفيذ الشروط . وبينما كان صلاح الدين جالسا أمام خيمته يجهز ردا يمنع الحامية من الخضوع لهذه الشروط ، ويعدهم بالمساعدة العاجلة ، شاهد رايات الفرنج ترفرف على أبراج المدينة ، فتملكه شعور بالإرتياع . لقد سبق السيف العذل ، وأبرم ضباطه المعاهدة باسمه . ولكونه رجلا شريفا ، التزم بالمعاهدة وانتقل بمعسكره بعيدا عن المدينة ، وتجلد استعدادا لإستقبال سفراء الفرنج المنتصرين لتنفيذ شروط المعاهدة .

وهكذا عادت عكا مرة أخرى إلى الصليبيين بعد تحريرها لتبقى معهم مائة عام اخرى .

(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)

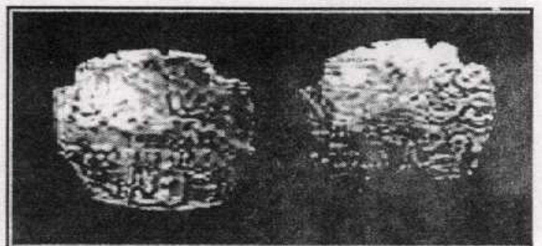
السلطان الأشرف
صلاح الدين خليل بن قلاوون

٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م : المعاهدة بين قلاوون ومملكة عكا

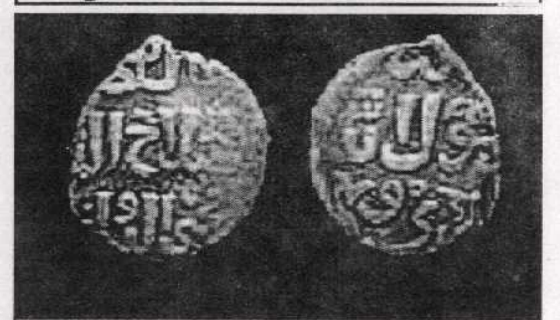
٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠م : مذابح المسلمين في عكـا

٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠م : وفاة السلطان قلاوون

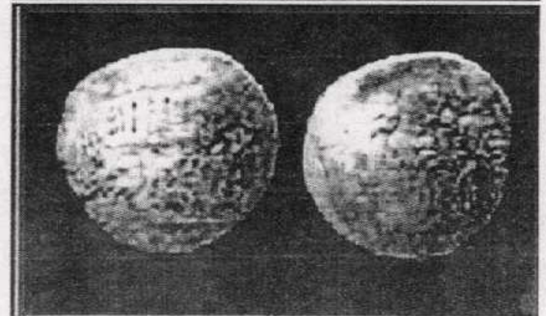
٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠م : الأشرف سلطانا



MK1003 Fractional Dirham Dimashq
DM
Balog 152
درهم دمشق



MK1002 Fractional Dirham Dimashq
DM
Balog 152
درهم دمشـــق



MK1001 Dirham Hamah DM
Balog 152A SNAT 293-304
درهم حمـــاة

نحن الآن بعد مرور مائة عام تقريبا على الأحداث التى مرت بنا فى الفصل السابق ، وتحديدا فى عام ١٢٨٢ م . فى ذلك العام كان قلاوون يجابه تهديدا مغوليا جاء وصفه وتفصيله فى سلسلة المماليك المفترى عليهم (٤) ، مما دفعه إلى عقد معاهدة مع الصليبيين فى عكا ليضمن حيادهم :

٦٨٢ هـ /١٢٨٣م : المعاهدة بين قلاوون ومملكة عكا

ولقد شعر قلاوون بالخطر من أنباء هجوم مغولى ، فأسرع بالتصالح مع سنقر الأشقر ، مانحا إيّاه إقطاعيتين كبيرتين فى شمال سوريا هما أنطاكية وأفاميا ، وبذا أدخل سنقر الأشقر فى جناحه ووقف الرجلان يستعدان لصد الهجوم المغولى المرتقب . ولم يكتف قلاوون بذلك ، وإنما اتجه الى الصليبيين كي يضمن حيادهم وعدم تعاونهم مع المغول ، فبادر بإرسال رسله الى عكا يقترح عقد هدنة مدتها عشر سنوات ، على الرغم من أن الهدنة السابقة مع عكا فى عام ١٢٧٢م كانت ما تزال سارية لمدة عام أخر . ووجد أبناء عكا فى الهدنة الجديدة عاملا إيجابيا يضمن لهم ازدهارا تجاريا وسلاما طالما أفادهم في حياتهم وفى تجارتهم وتعاونهم مع البنادقة وغيرهم . على أن البعض من السفارة المصرية نصح الفرنج بعدم قبول الهدنة مع قلاوون إذ سرعان ما سينقلب عليهم بعد فراغه من الغزو المغولى . وعندما سمع روجر أوف سان سيفرينو بذلك ، أرسل الى السلطان قلاوون يحذره من هؤلاء الخونة المصريين ، واستطاع قلاوون القبض علي هؤلاء المتآمرين فى الوقت المناسب. وبعدها وافقت الأنظمة العسكرية الدينية فى عكا على تلك الهدنة وكان

تاريخها ٣ مـايو ١٢٨٣م ،وكانـت أهـم بنـود الهدنـة التـي عقـدت مـع مملكـة عكـا (١٢٨٣م) كما يلي:

١ ــ مدة الهدنة عشرة أعوام وعشرة أشهر وعشرة أيام.

٢ ـ منح التجـار مـن رعايـا السلطان الأمـن وحريـة العمل التجـاري فـي عكـا والبلاد الساحلية.

٣ ـ توقف الفرنجة عن الاعتداء على أراضي دولة السلطان .

٤ ـ لا يجدد الفرنجة في عكا وعثليت وصيدا حصناً ولا سوراً.

٥ ـ تبادل الرعايا الفارين ضمن شروط محددة.

٦ـ حرية الملاحة وتقديم العون الى السفن الجانحة، والمحافظة على محتويات السفن لتسليمها الى أصحابها أو من يلوذ بهم.

٧ ـ يتولى فرنج عكا إنذار السلطان وإعلامـه بـأي تحـرك اوروبـي مضـاد لـه، وكـذلك بالنسبة الى تحركات المغول.

٨ ـ يضمن السلطان حماية عكا وعثليت من أعمال القرصنة.

٩ ـ السماح للحجـاج الأوروبيين بالوصـول الـى الأمـاكن المقدسـة، وضـمان أمـنهم وسلامتهم وحرية تعبدهم.

وبعد نحو شهرين ، فى ١٦ يوليو ١٢٨٣ م وقع بوهمنـد على هدنة مماثلة .

وهكذا حقق قلاوون انتصارا دبلوماسيا كبيرا يدل بحق علـى حنكـــته السياسية الـى جانب عبقريتـــه العسكرية . فلو أن الصليبيين اتحدوا وجابهوه ، لتعقـدت حملته ضد المغول ولأصبح فى فى وضع لا يحسد عليه وربما أصابته أخطار كبيرة . وفـى عـام ١٢٩٠م، وقبيل وفاته ، أبرم قلاوون تحالفات تجارية مع أبناء جنـوا ومملكة صقليـة .

٦٨٩ هـ / ١٢٩٠م : مذابح المسلمين في عكا

شعر أهل عكا ببعض الثقة بعد توقيع المعاهدة ، فعادت التجارة إلى ما كانت عليه من ازدهار ، وفى صيف ذلك العام ١٢٩٠ م راح تجار دمشق يرسلون قوافلهم إلى الساحل وهم فرحون بوفرة الحصاد ، واتساع نعم الله على العباد ، ودأب الفلاحون المسلمون على التجمع بمحاصيلهم فى أسواق عكا . وكان عاما فريدا بين الأعوام ، إذ لم تكن المدينة قد شهدت من قبل مثل ذلك النشاط وتلك الحيوية . وفى شهر أغسطس هبط إلى المدينة الصليبيون الإيطاليون ، فاستحالت الأحوال من هدوء واستقرار إلى هياج واستنفار، إذ كان الإيطاليون فوضويين ، سكاري ، فاسقين ، لا سبيل إلى قادتهم للسيطرة عليهم لعجزهم عن دفع رواتبهم .

وكان الإيطاليون الوافدون قد جاءوا لمحاربة الكفرة المسلمين ، وراحوا يهاجمون التجار والفلاحين المسلمين المسالمين . واندلعت فى أحد أيام اغسطس أعمال شغب فى حانة للشراب يتواجد فيها المسيحيون والمسلمون ، وقيل إن تاجرا مسلما أغوي سيدة مسيحية ، واستنجد زوجها بجيرانه . وفجأة اندفع غوغاء الصليبيين فى الشوارع والضواحي يقتلون كل مسلم يقابلونه فى طريقهم ، يعرفونهم بلحاهم ، ولذا هلك أيضا مسيحيون كثيرون بسبب لحاهم . وارتاع بارونات المدينة وفرسان الأنظمة الدينية العسكرية ، وتمكنوا بشق الأنفس من إنقاذ عدد قليل من المسلمين أخذوهم الى القلعة حيث الأمان .

وسرعان ما علم السلطان بتلك المذابح ، فاستشاط غضبا وقرر اقتلاع الفرنج الصليبيين من الشام كلها . وسارعت حكومة عكا بإرسال اعتذاراتها وأسفها ، لكن السلطان أرسل مبعوثيه الى عكا وأصر على تسليمه المذنبين لمعاقبتهم .

وعقد الكونستابل أماليريك مجلسا نهض فيه السيد الأعظم لفرسان المعبد ونصح بتسليم جميع المجرمين المسيحيين المسجونين آنذاك في سجون عكا إلى ممثلي السلطان على أنهم مرتكبوا الجريمة .غير أن الرأي العام لم يكن يسمح بإرسال مسيحيين الى حتفهم على أيدي الكفرة . ولم يتلق سفراء السلطان أية ترضية ، وبدلا من ذلك كانت هناك محاولة فاترة لإثبات أن بعض تجار المسلمين مذنبون بإشعا ل الشغب ، وبذا يتعين أن يُلقى بالملامة عليهم .

٦٨٩ هـ/١٢٩٠م : وفاة السلطان قلاوون

وعقد قلاوون العزم على مهاجمة عكا . وراح يعبئ الجيش المصري ويجهز آلات الحصار ، وفي ذات الوقت صدرت الأوامر للجيش السوري بقيادة ركن الدين طوقسو واليه على دمشق بالمسير إلى ساحل فلسطين بالقرب من قيصرية وإعداد آلات الحصار .

وفي ٤ نوفمبر ١٢٩٠م انطلق من القاهرة على رأس جيشه . لكنه ما أن شرع في المسير حتى أصابه المرض ، وبعد ستة أيام توفي في مرجة التين على مجرد خمسة أميال من القاهرة . وبينما هو على فراش الموت أخذ من إبنه الأشرف خليل وعدا بمواصلة الحملة .

(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)

٦٨٩ هـ /١٢٩٠م : الأشرف خليل سلطانا

كـان مـشهدا مهيبـا ، فنائـب الـسلطنة ، حـسام الـدين طرنطـاي ، فـى جيئـة وذهوب بين يدى الأشرف خليل ، وكبار الأمراء ما يفتأون يصدرون الأوامر للجنود بهدم الخيام ونقل العتاد والإنتظام فى العودة إلى القاهرة بعد وفاة قلاوون . ونُـقِل جثمانه وجمعت الخزائن من الخيمة فى نظام تـام ، والأشرف خليل يلتفت يمنـة فإذا الأتباع يهرعون لتنفيذ ما يراه . ولم يمض وقت طويل حتى عاد الجيش والجمع إلى القلعة ، وجلس الأشرف خليل فى دست السلطنة ، لم يختلف عليه أحد ولا نطق لسان بكلمة واحدة . حدث ذلك فى السابع من ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ . وسيّر الرسل الى الممالك الإسلامية والشاميـة . وفى ثنايا الحزن على والده ، ومن بين طيات الأسى ، قيل فيه:

نـداك يـا عـادل يا منصـف	أهمى منم الغيث الذي يوصف
أغن عبـاد الله عـن نيلهـم	فجودك البحر الذي يُـعـرف
أطاعـك الناس اختيـارا وما	أذلهـم رمـح ولا مـرهـف
كـم ملكت مصرملوكـا وكـم	جادوا وما جادوا ولا أسرفـوا
حتى أتى المنصورأنسى الوري	بفعلـه سائـر مـا أسلفـوا
مـا قـدموا مثـل بقـاه ولا	مثـل الذى خلفـه خلفـوا
فتِـهْ على الأملاك فخـرا بما	نلـت فأنـت الملك الأشـرف

وما أن استقر فى عرش السلطنة حتى بدأ فى إحداث تغييرات تتصل بأمراء المماليك المحيطين به ، فبدأ بعزل الأمير حسام الدين طرنطاي ، وهو نائب السلطنة وقبض عليه وكان ذلك آخر العهد به ، إذ كان بينه وبين الأمير علم الدين سنجر الشجاعى أحقاد ومواجد كثيرة وشحناء قديمة ، وكذلك بين طرنطاي والأمير بدر الدين بيدرا ، وبعض المماليك الآخرين ، فكان طرنطاي يسطو عليهم ويحيل بينهم وبين ما تحدث بهم أفكارهم ، فما كان منهم إلا أن بثوا سمومهم ضد طرنطاي لدى السلطان فى كل مناسبة وغير مناسبة ، وأشاروا على السلطان بالقبض عليه قبل استفحال أمره . فقبض عليه بعد وفاة أبيــه بثمانية أيام . وأغلب الظن أنه أودعه السجن حيث قضى نحبه فيه . ليس ذلك وحسب ، وإنما استولى على أمواله وذخائره وخيوله ومماليكه وحشمه ، فكان أشبه بانقلاب على نائب السلطنة . ثم إنه منح نيابة السلطنة للأمير بدر الدين بيدرا المنصوري ، واتخذ لنفسه وزيرا شخصــا يدعى شمس الديــن محمد بن السلعوس وهو من تجار الشام ، فأطلق العنان لنفســه فى الأمر والنهي .

ـ الإسكنــدر المملــوك

إذا كنت فى حلب ، ووقفت أمام البوابــة الرئيسية للقلعــة ، ستجد مكتوبا فى أعلاهـا عبـارة طويلــة كتب فيها السلطان الملك الأشرف خليل ٦٨٩/ ٦٩٢ هـ ـ ١٢٩٠/١٢٩٤ م يدعى "الإسكندر زمانـه"، لكثرة فتوحاته وانتصاراته العسكرية فى فترة وجيزة . ولقد أضفى الملك الأشرف خليل على ذلك اللقب معنى خاصا استلهم من انتصاراته العسكرية ضد الفرنج والأرمن وطموحاته لاسترداد الأراضى التى احتلها المغول سنة ١٢٥٨ م . ولقد كان الملك الأشرف بمثابة الرمز الملهَم الأقرب

للإسكندر المقدونى ذى القرنين ، فهو بقرنيه قد بنى السد الذى حاصر قبيلتي يأجوج ومأجوج المفسدتين فى الأرض حتى يوم القيامة . وهكذا ، فإن السلطان المنتصر الذى لا شاغل له إلا أن يعيد الخلافة فى بغداد ، هو بمثابة بعد دينى أخروي جعله يبدو كبطل عالمى وكباعث لعهد إسلامى جديد .

وإذا كنت فى القاهرة فى نواحى مساجد السيدات الفضليات ، أخبروك بأن الأشرف هو آخر الأسماء التى أطلقت حديثا على الشارع الذى يقع فيه ضريح السلطان الأشرف خليل خليفة السلطان المنصور قلوون ، وكان للشارع أسمـاء عديـدة ، أخرها فى نهاية القرن التاسع عشر وكان إسمه الخليفة تسميا باسم ضريح محمد الخليفة ، كما كان يسمى آنذاك باسم السيدة سكينـة . وهو الشارع الذى يسجل أسماء بعضا من ذرية النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

ويمتد شارع الأشرف من ميدان السيدة نفيسة فى الجنوب إلى تقاطع شارع الصليبة فى الشمال ، ومن درب الحصر إلى قبر السيدة رقية . والشارع والناحية يؤلفان متحفا للعمارة الإسلامية فى مدينة الألف مئذنـة .

ومن بين المبانى التاريخية عدد من الأضرحة المكرسة لأناس تركوا بصماتهم لا على مصر وحدها ، وإنما على تاريخ العالم العربى . ومنها الملكة المصرية الشهيرة شجرة الدر ، التى ساعد مكرها العبقرى فى حماية مصر من الصليبيين فى أعقاب موت زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأسفل الطريق مباشرة يقع ضريح الأشرف بن قلاوون الذى اشتهر بطرد آخر الصليبيين من الشـرق .



الفصل الثالـث

فتح عكّـــا

٦٩٠هـ / ١٢٩١م الاستعداد للمعركـــة

٦٩٠هـ / ١٢٩١م المدافعون عن عكـا

٦ إبريــل ١٢٩١م حصار عكـــــا

٤ مايـــو ١٢٩١م آخر محاولة للتفاوض

١٨ مايـو ١٢٩١م الهجوم العــام

الهروب من عكـا

تدمير عكـــــا



٦٩٠هـ / ١٢٩١م الاستعداد للمعركة

خرج الأشرف خليل من القاهرة في شهر صفر ٦٩٠هـ / ١٢٩١م قاصدًا عكا، وأرسل في الوقت نفسه إلى كل ولاته بالشام بإمداده بالجنود والعتاد، ونودي في الجامع الأموي بدمشق بالاستعداد لغزو عكا وتطهير الشام نهائيًا من الصليبيين، واشترك الأهالي مع الجند في جر المجانيق.

وخرج الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام بجيشه من دمشق، وخرج الملك المظفر بجيشه من حماة، وخرج الأمير سيف الدين بلبان بجيشه من طرابلس، وخرج الأمير بيبرس الدوادار بجيشه من الكرك، وتجمعت كل هذه الجيوش الجرارة عند أسوار عكا، وقدر عددها بنحو ستين ألف فارس، ومائة وستين ألفا من المشاة؛ مجهزين بالأسلحة وعدد كبير من آلات الحصار، وبدأت في فرض حصارها على عكا في ربيع الآخر ٦٩٠هـ / ٥ من إبريل ١٢٩١م .

وأصدق رواية للمعركة هى التى أوردها المؤرخ السير ستيفن رانسيمان فى موسوعته "تاريخ الحملات الصليبية " "*A History of the Crusades*" وفيما يلى روايته التى اعتمد فيها على كبار المؤرخين العرب والأجانب على السواء :

"وشرع جيش المسلمين فى التحرك فى مارس ١٢٩١م ، وكان الأشرف قد اتخذ جوانب الحيطة فى ترتيباته واستكمالها ؛ إذ جمع آلات الحصار من سائر أنحاء السلطنة . وكان الجيش محمّلا بكثير الكثير من حماة حتى أنه استغرق شهراً للإرتحال من الكرك ـ حيث توقف لأخذ منجنيق ضخم يسمى المنصور ـ حتى عكا جنوبا فى جو ممطر ملئ بالطمي ؛ فضلا عن مائة آلة حصار أخرى صُنعتْ فى

دمشق ومصر . وكان هناك منجنيق ضخم آخر يسمى الغاضب ، ومناجق أخرى أصغر ذات كفاءة خاصة ، تعرف باسم الثيران السوداء . وفى ٦ مارس غادر الأشرف القاهرة قاصدا دمشق حيث ترك الحريم . وفى ٥ ابريل وصل أمام عكا بكل قواته الضخمة . وتحدث البعض عن ستين ألف فارس ومائة وستين ألف راجل . ومهما قد تبدو هذه الأعداد مبالغا فيها فقد جاوز جيشه بكثير ما كان باستطاعة المسيحيين حشده . (الجزاري ، والمقريزي ، وأبو الفدا) (♣)

Al-Jazari (ed. Sauvaget), pp. 4-5; Maqrisi, *loc.cit.*;(♣)
Abu'l Feda, p.163.

٦٩٠هـ / ١٢٩١م المدافعون عن عكا

تسببت أنباء استعدادات السلطان فى أن أرغمت أهل عكا أخيرا على التحقق من ورطتهم . وأُرسلت أثناء الشتاء استنجادات عاجلة إلى أوروبا ، ولم يكن لها سوى نتائج طفيفة للغاية ؛ إذ كان قد وصل قليل من الفرسان المتفرقين خلال الخريف السابق ، من بينهم أوتو أوف جراندسون السويسري ومعه بعض الإنجليز الذين أرسلهم إدوارد الأول ؛ وجمع فرسان المعبد والمستشفى جميع رجالهم ؛ أما السيد الأعظم لفرسان التيوتون ، بوركارد أوف شواندن ، فقد تسبب فى توليد انطباع سيئ باختياره التخلى عن منصبه فى تلك اللحظة بعينها ؛ غير أن خليفته ، كونراد أوف فيوشتوانجن ، استدعى عددا من رفاقه الفرسان من أوروبا . و أرسل هنرى ملك قبرص جنودا قبرصيين وأخاه أمالريك لقيادة الدفاع ، ووعد بالمجئ بنفسه مع التعزيزات . وتم قيد كل مواطن قادر بدنيا من مواطنى عكا ليلعب دوره . (♣)

(Hricht, *Geschichte*, pp. 1008ff, *Gestes des Chiprois*, p.241).(♣)

على أنه حتى مع ذلك كانت الأعداد قليلة ؛ إذ كان عدد سكان عكا المدنيين جميعا ثلاثين أو أربعين ألفا ؛ بالإضافة إلى ما يقل عن ألف فارس أو مساعد فارس بجواد ، وحوالى أربعة عشر ألف جندي مشاة ، بما فى ذلك الحجاج الإيطاليون . وكانت تحصينات المدينة فى حالة جيدة وقد تمت تقويتها مؤخرا بأوامر من الملك هنري . وقد أصبح هناك الآن خط أسوار مزدوج لحماية شبه الجزيرة التى تقع عليها المدينة وضاحيتها الشمالية مونتموسارت ، وسورواحد يفصل مونتموسارت عن عكا، وتقع القلعة على ذلك السور الأخير بالقرب من نقطة اتصاله بالسور المزدوج . وكان هنــاك اثنا عشــر برجا على مسافات غير منتظمة من الأسور الخارجية والداخليــة، وقد شُيد الكثير منها على تفقة بعض الحجاج البارزين ، مثل البرج الإنجليزي الذي بناه إدوارد الأول ، وبرج كونتسة بلوا التالى له . وفى الزاوية التى تنحرف فيها الأسوار من المضى شمالا من خليج عكا لكي تمضى غربا ناحية البحر ، قام برج ضخم على السور الخارجى بناه حديثا الملك هنرى الثانى فى مواجهة البرج الملعون على السور الداخلى . وأمام برج الملك هنرى كان هناك مدخل ضخم بناه الملك هيو. وكانت هذه الزاوية بكاملها أضعف جزء فى الدفاع ؛ ولذلك عُهد بها إلى جنود الملك تحت إمرة أخيه أماليك . وعلى ميمنته تمركز الفرسان الفرنسيون والإنجليز بقيادة جون أوف جريللى وأوتو أوف جراندسون ، ثم الجنود البنادقة وأبناء بيزا وجنود كميون عكا ، وعلى ميسرة أماليك كان هناك أولا فرسان المستشفى ثم فرسان المعبد ؛ كل بقيادة سيده الأعظم ، وذلك لتغطية أسوار منتموسارت ، أما فرسان التيوتون فكانوا بمثابة تعزيز للكتائب الملكية عند الربج الملعون . أما فى

جانب المسلمين ، فقد تمركز جيش حماة – وكان معه المؤرخ أبو الفدا نفسه – ناحية البحر فى مواجهة فرسان المعبد؛ وتمركز جيش دمشق فى مواجهة فرسان المستشفى ؛ وكان الجيش المصرى فى موضع يمتد من نهاية سور مونتموسارت ويلتف إلى خليج عكا ، ونصبت خيمة السلطان على مسافة غير بعيدة من الشاطئ فى مواجهة برج المندوب البابوي.(♣)

(♣) Abu'l Feda, p. 164; *Gestes des Chiprois*, p. 243

٦ إبريــل ١٢٩١م حصـــار عكـا

بدأ الحصار فى السادس من إبريل . ويوما بعد يوم راحت مناجق السلطان كبيرها وصغيرها تقذف أحجارها أو حاوياتها الفخارية وبها مزيج قابل للإنفجار ، فتصطدم بأسوار المدينة ، أو تجاوزها إلى داخل المدينة ، وراح رماة سهام السلطان يصبّون سحب سهامهم على المدافعين فى أروقة الأبراج وشرفاتها ، بينما راح مهندسوه يعدون العدة لتلغيم الدفاعات الصعبة ، وقيل إنه كان لديه ألف مهندس أمام كل برج . وكان المسيحيون لا يزالون مسيطرين على البحر ، وكانت مؤن الطعام تصل بانتظام من قبرص ؛ غير أنهم كانوا يفتقرون إلى التسليح ، وبدأوا يتحققون من عدم وجود ما يكفى من الرجال لوضعهم على الأسوار لمجابهة الأعداء بأعدادهم المهولة ؛ غير أنه لم يكن هناك حديث عن الإستسلام . وثبّتوا فى إحدي سفنهم منجنيقا تسبب فى إحداث أضرار جسيمة فى معسكر السلطان . وفى ليلة ١٥ إبريل ، والقمر ساطع فى السماء خرج فرسان المعبد ، يساعدهم أوتو أوف جراندسون ، واندفعوا فى هجوم مباشر على معسكر رجال حماة ؛ وبوغت

المسلمون ، غير أن الكثير من فرسان المعبد تعثروا فى حبال الخيام فى غُبْشة الليل وسقطوا وأسروا وأُجبر الآخرون على التقهقر إلى داخل المدينة بخسائر فادحة . وبعد ليال قليلة قام فرسان المستشفى بخروج آخر فى ظلام تام ، كان مآله الفشل الذريع ، إذ أشعل المسلمون على الفور مشاعلهم ونيرانهم . وبعد هذا الخروج الثانى تقرر أن ذلك باهظ التكلفة فى القوة البشرية . على أن التخلى عن المعارك الهجومية أضر بمعنويات المسيحيين، وتفشى بينهم الإحساس بانقطاع الأمل . لقد كان الوقت فى جانب المسلمين .

وفى الرابع من مايو ، أي بعد حوالى شهر من بدء الحصار ، وصل الملك هنرى من قبرص ومعه ما استطاع جمعه من جنود بلغ عددهم مائة خيال وألفى راجل فى أربعين سفينة ؛ وكان برفقته رئيس أساقفة نيقوسيا ، جون توركو أوف أنكونا ، وربما يعزي تأخره فى المجئ الى المرض . واستُقبل بمشاعر البهجة ، وما أن هبط الى البر حتى تسلم القيادة ونفث قوة فى الدفاع . غير أنه سرعان ما اتضح جليا أن التعزيزات كانت غاية فى الضآلة ، فلم تحدث فرقا فى المحصلة العامة .

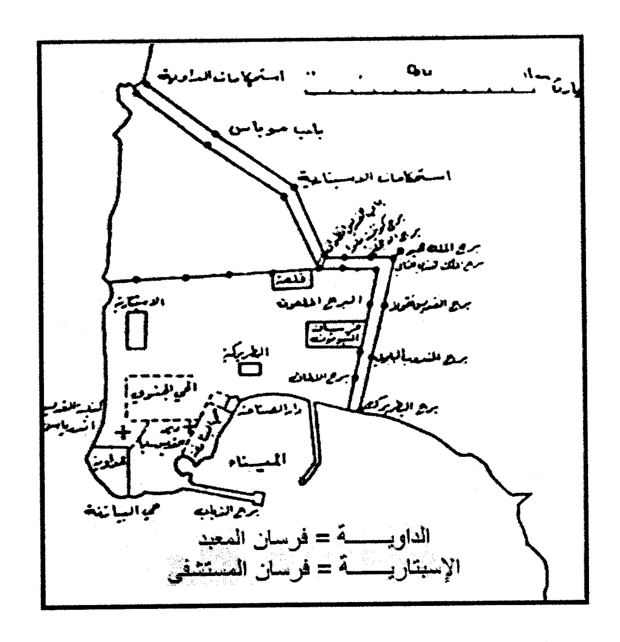
٤ مايو ١٢٩١م آخر محاولة للتفاوض

وحاول الملك محاولة أخيرة للسلام ، فأرسل فارسين هما وليم أوف كافران ووليم أوف فيلبير من فرسان المعبد الى السلطان يسأله لماذا خرق الهدنة ، ويعده بالإنتصاف من أية مظالم . واستقبلهما الأشرف خارج خيمته ؛ وقبل أن يبدأ بتسليم الرسالة سألهما باقتضاب ما إذا كانا قد أحضرا مفاتيح المدينة ؛ وعندما أجابا بالنفى قال إنه إنما يريد المكان ولا يعبأ بمصير السكان . وتقديرا لشجاعة الملك الذي جاء

للحرب وهو صغير ومريض فإنه سوف يبقى على السكان إذا استسلموا له ؛ ورد المبعوثان بأنهما سوف يُعتبران خائنين إذا وعدا بالإستسلام ، وبعد أن قالا ذلك مباشرة قذف منجنيق من الأسوار بحجر سقط بالقرب من المجموعة ؛ فاستشاط الأشرف غضبا واستل سيفه ليقتل السفيرين ، لكن الأمير الشجاعى قام إليه وهدأه قائلا إنه لا ينبغى أن يلوث سيفه بدماء الخنازير . وسُمح للفارسين بالعودة الى مليكهم .

وكان مهندسو السلطان قد بدأوا فعلا فى تلغيم الأبراج. وفى ٨ مايو قرر رجال الملك أن برج الملك هيو الضخم لم يعد الدفاع عنه مجديا ، فأشعلوا فيه النيران وتركوه لينهار . وخلال الأسبوع التالى لُغّم البرج الإنجليزي وبرج كونتيسة بلوا ، وبدأ انهيار الأسوار المجاورة لبوابة القديس أنطوان وبرج القديس نقولا . وصمد برج الملك هنري الثانى الجديد حتى ١٥ مايو ، عندما انهار جزء من جداره الخارجى ؛ وفى الصباح التالى شق المماليك طريقهم فى الأطلال ، وكان لا بد للدفاع أن يتقهقر الى الأسوار الداخلية . وفى نفس ذلك اليوم كان هناك هجوم مركز على بوابة القديس أنطوان ولم يمنع الأعداء من الدخول الى المدينة سوى بسالة فرسان المعبد وفرسان المستشفى . وتميّز مارشال فرسان المستشفى ، ماثيو أوف كليرمونت ، بشجاعته الفائقة .





عكا سنة ١٢٩١م

الجمعة ١٨ مايو : الهجوم العام

وفى اليوم التالى عزز المسلمون قبضتهم على ا لسور الخارجى ؛ وأمر السلطان بهجوم عام صباح الجمعة ١٨ مايو ، وشن الهجوم بطول الأسوار من بوابة القديس أنطوان حتى برج البطريق بجوار الخليج ، غير أن الهجوم الرئيسى للمسلمين كان على البرج الملعون عند زاوية الجزء الناتئ ، وألقى السلطان بكل إمكانياته فى المعركة ، فلم تتوقف المناجق عن القصف ، وانهمرت سهام رماته ـ التى كادت أن تأخذ شكل كتلة متحدة ـ على المدينة ؛ واندفعت الكتيبة تلو الكتيبة يقودها أمراؤها بعماماتهم البيضاء تهاجم الدفاعات ؛ وكانت الضوضاء تثير الرعب ، والمهاجمون يصرخون صرخات المعركة ، تستحثهم الأبواق والصنج المعدنية والطبول التى يقرعها ثلاثمائة طبّال على ظهور الجمال .

ولم يمض طويل وقت حتى شق المماليك طريقهم إلى داخل البرج الملعون مما اضطر حاميته المؤلفة من الفرسان السيريانيين والقبارصة إلى التقهقر غربا باتجاه بوابة القديس أنطوان حيث خف لمساعدتهم فرسان المعبد والمستشفى يحاربون جنبا إلى جنب ، وكأنه لم يكن هناك قط قرنان من التنافس بينهما . وحاول ماثيو أوف كليرمونت يائسا قيادة هجوم مضاد لإستعادة البرج ، بيد أنه على الرغم من أن السيدين الأعظمين تبعاه ، لم يُجْدِ ذلك فتيلا . وبطول الأسوار الشرقية للمدينة تمكن جون أوف جريللى وأوتو أوف جراندسون من الصمود لبضع ساعات . بيد أنه بعد سقوط البرج الملعون استطاع الأعداء المرور من الأسوار المنهارة

والإستيلاء على بوابة القديس نيقول ؛ وبذا ضاع السور بكامله ورسّخ المسلمون وضعهم داخل المدينـة .

الهـــروب من عكـــا

واستعر القتال فى الشوارع ، ولم يعد هناك ما يمكن عمله لإنقاذ عكا . وأصيب وليم أوف بوجو السيد الأعظم لفرسان المعبد بإصابات مميتة فى هجومه المضاد العقيم على البرج الملعون ، وحمله أتباعه إلى مبنى نظام المعبد حيث مات ، وكان معه ماثيو أوف كليرمونت ، لكنه عاد إلى المعركة وإلى حتفه . وجرح السيد الأعظم لفرسان المستشفى جون أوف فلير ، لكن رجاله أحضروه إلى المرفأ ووضعوه على متن سفينة وسط اعتراضاته . وكان الملك هنرى وأخوه أماليك قد ركبا السفينة فعلا ؛ وفيما بعد اتُهم الملك هنرى بالجبن لتخليه عن المدينة ، غير أنه كان فاقد الحيلة ، وكان واجبه إزاء مملكته يحتم عليه تجنب الأسر . وفى القطاع الشرقي جرح جون أوف جريللى وتسلم القيادة أوتو أوف جراندسون الذي صادر كل ما كان يجده من السفن البندقية ووضع عليها جون أوف جريللى وجميع ما أمكن إ،قاذه من الجنود وكان هو آخر من انضم اليهم على ظهرها . وعم اضطلااب مفزع أرصفة الميناء ؛ واكتظت قوارب التجديف بالجنود والمدنيين ، وفيهم النساء والأطفال، فى سعى للوصول إلى الغلايين الراسية قبالة الشاطئ . وكان البطريق العجوز نيكولاس أوف حنابر قد جرح جرحا بسيطا وحمله خدمه المخلصون ووضعوه على زورق شراعى صغير ؛ ومن قبيل العطف سمح لكثير من اللاجئين أن يركبوا معه القارب إلى أن هبط الزورق بثقلهم وأغرقهم جميعا . وبعض الرجال

أسعفتهم أذهانهم فاختطفوا قاربا وراحوا يجمعون رسوما باهظة من اليائسين على الأرصفة من التجار والسيدات ؛ وقام المغامر الكتالونى (يعنى من كتالونيا شمال شرق أسبانيا) روجر فلور، الذي حارب بشجاعة كفارس من فرسان المعبد أثناء الحصار ، بتولى قيادة غليون تابع لفرسان المعبد ، وكان بمثابة أساس لثروته الضخمة التى جمعها من ابتزازه لنبيلات عكا .

وكانت السفن ضئيلة العدد للغاية بحيث لا تستطيع أن تنقذ الهاربين . وسرعان ما توغل جنود المسلمين فى المدينة مباشرة ، يقتلون من يقابلهم ، المسنون والنساء والأطفال على حد سواء ؛ وابتسم الحظ لقليل من المواطنين الذين مكثوا فى بيوتهم ، فقد أخذوا أحياء ليباعوا رقيقا ، ولكن لم ينج الكثير . وليس بمقدور أحد أن يخبرنا بعدد الذين هلكوا ؛ وفيما بعد حاولت الأنظمة الدينية العسكرية وكذلك بيوتات التجار العظام وضع قوائم بالناجين من افرادها ، غير أن مصير أغلب أفرادها كان مجهولا . وتحدث من سافروا لاحقا إلى الشرق غن مشاهدتهم لبعض أعضاء فرسان المعبد المرتدين عن دينهم يعيشون عيشة حقيرة فى القاهرة ، وآخرين يعملون فى قطع الأخشاب ناحية البحر الميت . وأطلق سراح بعض الأسرى وأعيدوا إلى أوروبا بعد تسع او عشر سنوات . وقيل إن الرقيق من الفرسان وذرياتهم كان أسيادهم يعاملونهم بشئ من الإحترام . واختفت نسة كثيرات وأطفال إلى الأبد فى حريم المماليك وزاد العرض فى سوق الرقيق بدمشق زيادة كبيرة ، فانخفض سعر الفتاة إلى دراخمة واحدة . على أن عدد المسيحيين الذين قتلوا كان أكبر .

وبحلول ليل ١٨ مايو باتت عكا كلها فى قبضة السلطان ، فيما عدا قلعة فرسان المعبد الضخمة ذات النتوء المطل على البحر فى النقطة الجنوبية الغربية من المدينـة ، حيث لاذ بها فرسان المعبد الناجون من الموت ومعهم عدد من المواطنين من الجنسين . ولعدة أيام تحدت جدرانها الضخمة الأعداء ، والسفن التى أنزلت اللاجئين فى قبرص عادت لمساعدتهم . وبعد أسبوع تقريبا عرض الأشرف على مارشال النظام ، بطرس أوف سيفري السماح له بركوب البحر مع كل من كان معه فى القلعة بمنقولاتهم إذا استسلموا له ؛ وقبل بطرس الشرط ، ودخل أحد الأمراء ومائة مملوك القلعة للإشراف على الترتيبات ، بينما رفرفت راية السلطان على البرج. ولكن هؤلاء المماليك كانوا خارج سيطرة المشرفين عليهم ، فبدأوا فى إزعاج المسيحيات والأطفال وفى تملكهم ، الأمر الذي أثار حنق الفرسان فانقضوا على المسلمين وقتلوهم ، وأنزلوا راية الأعداء وتهيّـأوا للمقاومة حتى الموت . وعندما هبط الظلام ، أرسل بطرس أوف سيفري خزانة نظام فرسان المعبد مع قائد الفرسان، تيبالد جودين ، مع قليل من غير المقاتلين ، فى قارب إلى القلعة فى صيدا . وفى اليوم التالى، وعندما رأي الأشرف قوة القلعة وما كانت عليه حاميتها من شجاعة يائسة، عرض نفس الشرط المشرف كما سبق ؛ وخرج بطرس وقليل من رفاقه بمرور آمن لمناقشة الإستسلام . غير أنهم ما أن وصلوا خيمة السلطان حتى حوصروا وقيدوا وضربت أعناقهم على الفور ؛ ولما رأي أفراد الحامية من فوق الأسوار ما حدث أغلقوا البوابة وواصلوا الحرب . غير أنهم لا يستطيعون منع المهندسين المسلمين من الزحف حتى الأسوار وحفر نفق ضخم تحتهم . وفى ٢٨ مايو بدأ جانب القلعة المطل على اليابسة فى الإنهيار ، ودفع الأشرف ، الذي خذله صبره ، بألفى مملوك إلى

داخل الفتحة الآخذة فى الإتساع . ولم تتحملهم قواعد المبنى التي تزايد ميلها ؛ وبينما كانوا يشقون طريقهم قتالا إلى الداخل انهار الصرح كله وقضى على المدافعين والمهاجمين على السواء بالكم الهائل من الأحجار المنهارة .

ـ ١٢٩١م تدمـير عكـا

ما أن اصبحت عكا فى يد السلطان حتى أخذ فى تدميرها بصورة منتظمة وقد عقد العزم على ألا تعود أبدا كرأس حربة للعدوان المسيحى فى سوريا ؛ فنهبت البيوت والأسواق ثم حرّقت ؛ وهدمت مبانى الأنظمة الدينية العسكرية ، وعُطّلت تحصينات الأبراج والقلاع وتركت أسوار المدينة للتفكك . وعندما مر بها الحاج الألمانى ليودولف أوف سوشين بعد ذلك بأربعين سنة ، لم يجد سوى بعض الفلاحين التعساء يعيشون بين أطلال ما كان ذات مرة العاصمة الرائعة لمملكة الشرق الفرنجي (أوتريميــه) ؛ وما تزال هناك كنيسة أو كنيستين لم تدمر كلية ؛ غير أن المدخل الرائع لكنيسة القديس أندرو قد أُخذ لتزيين المسجد الذي بنى فى القاهرة لتشريف السلطان المنتصر؛ وفى وسط الجدران المتهدمة فى كنيسة سانت دومينيك ، لا يزال قبرالراهب الدومينيكى ، جوردان السكسونى ، باقيا لم يمس ، إذ أن المسلمين قد حدّقوا فيه ووجدوا أن الجثة لم تفسد (♣)

(♣) Enlart, *Monuments des Vroises, ii, pp. 9-11;* Etienne de Lusignan, *Histoire de Chypre.* Fol. 90; Ludolf of Suchem (P.P.T.S. p.61)

(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)

٦٩٠هـ / ١٢٩١م نهاية مملكة الشرق الفرنجي (أوتريميــــه)

(١) صــــور

وسرعان ما لقيت المدن الفرنجية المتبقية نفس مصير عكا . فبعد أن أصبح أغلب عكا فى قبضة الأشرف ، أرسل يوم ١٩ مايو فرقة جنود كبيرة إلى صور التى كانت أقوي مدن الساحل ، وكانت منيعة أمام أي عدو يفتقد السيطرة على البحر ؛ وفيما مضى تسببت مرتين فى إحباط صلاح الدين . وقبل أشهر قليلة كانت الأميرة مرجريت التي تنتمى إليها المدينة ، قد سلـّمتها لإبن أخيها ، أخى الملك ، أماليك . وكانت حاميتها صغيرة ، وما أن اقترب العدو حتى سيطرالهلع على وكيل أماليك، آدم أوف كارفان، وأبحر هاربا إلى قبرص وتخلى عن المدينة دون قتال. (♣)

(♣) *Gestes des Chiprois*, p. 254; Sanudo, *loc. Cit.;* al-Jazari, p. 6; Abu'l Feda, p. 164

(٢) صــــيدا

وفى صيدا قرر فرسان المعبد المقاومة . وكان تيبالد جردين حاضرا مع ثروة نظام فرسان المعبد ، وكان الفرسان الباقون على قيد الحياة قد انتخبوه سيدا أعظم ليخلف وليم أوف بوجو . ولقد تـُركوا فى هدوء لمدة شهر . ثم جاء جيش مملوكى عرمرم بقيادة الأمير الشجاعى . وكان الفرسان من القلة بحيث لا يستطيعون الإحتفاظ بالمدينة ، لذا انسحبوا مع الكثير من وجهاء المواطنين إلى قلعة البحر التي بنيت على جزيرة صخرية على بعد مائة ياردة من الشاطئ ، تم ترميمها حديثا . وفى الحال أبحر تيبالد إلى قبرص لجمع الجنود لمساعدة القلعة ؛ لكنه بعدما أصبح هناك لم يفعل

شيئا، إمّا لجبنه أو ليأسه . وحارب فرسان المعبد الموجودون فى القلعة ببسالة ، ولكن عندما بدأ مهندسو المماليك فى بناء ممر مرتفع فى البحر استيأسوا وأبحروا شمال الساحل إلى طرطوس. وفى ١٤ يولية دخل الشجاعى القلعة وأمر بتدميرها (♣).

(♣) *Gestes des Chiprois,* pp. 256-7*Annales des Terre Sainte,* p.460;al-Jazari, p.7; Maqrisi,*Sultans,* II, i, p.131.; Abu'l Feda, *loc. Cit.*

(٣) بيروت

وبعد أسبوع ظهر الشجاعى أمام بيروت التى كان مواطنوها يعلقون الآمال على أن المعاهدة المعقودة بين السيدة إشيفا والسلطان سوف تحفظهم من الهجوم ؛ وعندما قام الأمير بتوجيه الأمر إلى قادة الحامية بالحضور للإعراب عن احترامهم له انصاعوا للأمر بقلق ، لا لشئ سوى ليجدوا أنفسهم سجناء . ولا تستطيع الحامية أن تفكر فى الدفاع فى غيبة قادتها . فهرع أفرادها إلى سفنهم وولوا الأدبار حاملين معهم ما فى الكتدرائية من آثار ، ودخل المماليك المدينة يوم ٣١ يولية . ولقد هدموا أسوارها وتحولت الكتدرائية إلى مسجد . (♣)

(♣) *Gestes des Chiprois,* pp. 257-8; al-Jazari, *loc. Cit;* Maqrisi, *loc. Cit.;* Abu'l Feda, *loc. Cit.*

(٤) حيفا

وما لبث السلطان أن احتل حيفا بعد ذلك دون مقاومة يوم ٣٠ يوليو ، وحرق رجاله الأديرة على جبل الكرمل وقتلوا رهبانها . وكانت ما تزال هناك قلعتا فرسان المعبد فى طرطوس وفى عثليت ؛ ولم يكن فى أي منهما الحامية ذات القوة الكفيلة

بمواجهة الحصار ، فصار الجلاء عن طرطوس يوم ٣ أغسطس وعن عثليت يوم ١٤ من نفس الشهر . وكل ما بقى آنذاك لفرسان المعبد قلعة جزيرة إرواد على بعد حوالى ميلين من الساحل فى مواجهة طرطوس ؛ وظلوا ماكثين هناك طوال اثنتى عشرة سنة أخرى ، ولم يجلوا عن الجزيرة إلا فى سنة ١٣٠٣م عندما بدأت الشكوك تحوم حول مستقبل هذا النظام الدينى العسكرى .

(٥) قلعــة الـــروم

وسار السلطان إلى قلعة الروم بجأش مكين ، وجيش يرهب المشركين ، وجمع من العساكر الشامية والحلبية . وكان نزوله عليها يوم الثلاثاء من جمادي الآخرة سنة ٦٩١ هـ . واجتهد فى حصارها وجَدّ ، وأعدّ لها من الآلات والمجانيق ما لا يُعدّ . وأقمنا على ذلك عشرين يوما متوالية . وفى أثناء ذلك ، وافت طائفة من عسكر التتار إلى جانب الفرات الشرقى . ولما وصلت الطلائع مُخْبِرة بوصولهم جرد السلطان الأمير بدر الدين أمير سلاح مقدما وجماعة من الأمراء . قال المصنف: فتوجهنا إلى جهة شميصات ركضا ، وأسرعنا إليها نطوي أرضا فأرضا ، وعدينا الفرات . وكان التتار قد أحسوا بوصولنا إليهم ، وهجومنا عليهم ، فانهزموا قبل الدنوّ منهم ، ولم ندرك سوى آثارهم ومواقد نارهم ، ورجعنا الى البيرة ،

ومنها إلى قلعة الروم ، واستمر حصارها إلى أن أخذت في يوم الجمعة سابع عشر رجب سنة ٦٩١هـ ، وأخرج منها الكاغيلوس (يعني بطريرك الأرمن ويسمى الكاثوليكوس أو الجاثليق) ومن كان معه . ورتب السلطان الأمير علم الدين سنجر الشجاعي لعمارتها، وأمر أن لا تُدعى قلعة الروم بل قلعة المسلمين الأشرفية ، واتقرت في جملة الممالك الإسلامية .

(مختار الأخبار)
(تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية)
(حتى سنة ٧٠٢ هـ ، ص ٩٢-٩٣)
(تأليف بيبرس المنصوري ، تحقيق د.عبد الحميد صالح حمدان)

(٦) تفريغ الشرق من الصليبيين

وراح جند السلطان لعدة أشهر يجوبون السواحل شمالا وجنوبا ، يدمرون بعناية أي شئ قد يفيد الفرنج إذا ما حاولوا النزول على الشاطئ مرة أخري ؛ فراحوا يقطعون أشجار بساتين الفاكهة ، ويفسدون أنظمة الري . والقلاع الوحيدة التي تُركت قائمة هي تلك القلاع البعيدة عن الساحل ، مثل قلعة جبل الحاج في طرابلس ، وقلعة المرقب على جبلها المرتفع . ولقد عمّ الخراب على طول البحر . وشاهد فلاحو المزارع ، التي كانت ذات مرة غنية بالمزروعات ، مزارعهم وقد دُمّرت ، فلاذوا بالجبال . وسارع من كان من أصل فرنجي إلى الإندماج في العنصر الوطني ، وعومل المسيحيون الوطنيون معاملة أفضل قليلا من العبيد ؛ لقد انقضى ما كان

للإسلام من تسامح كريم ؛ ذلك أن مرارة الحروب الدينية الطويلة نالت من المنتصرين ، فلم يعد لديهم مكان للرحمة إزاء الكفار.

ولم تكن جماعة المسيحيين التى هربت إلى قبرص بأفضل حال ؛ فقد عاش جيل حياة بائسة ، حياة اللاجئين غير المرغوبين ، وبمضى السنين تقلص العطف عليهم واستحال إلى تعاطف هزيل ؛ وكانت فائدتهم الوحيدة أنهم كانوا يذكّرون القبارصة بالكارثة المروعة ، ولم يكن القبارصة بحاجة إلى مذكّر . وطوال القرن التالى كانت سيدات الجزيرة العظيمات ، عندما يخرجن من دورهن ، يرتدين العباءات السوداوات فتغطيهن من الرأس إلى القدم . لقد كانت علامة الحداد على موت الشرق الفرنجي .(♣)

(♣)*Steven Runciman,* A History of the Crusades, vol. 3, pp. 474-484
ستيفن رانسيمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج ٣ صفحات ٤٧٤-٤٨٤ ترجمة نورالدين خليل

ابتهج الشرق كله بأنباء الإنتصارات بفتح عكا وما تلاه من الإستيلاء على الثغور ، وقال بعض الشعراء أبياتا يصف فيها هذا الفتح ويذكر فيها هذا المنح :

بلغت فى الملك أقصى غاية الأمل	وفُتّ شأوا ملوك الأعصر الأول
ونلت بالحول دون الناس كلهم	ما لم ينله ملوك الأرض بالحيل
فأنت للدين والدنيا صلاحهما	وفيهما حمل ضيم غير محتمل
لقد فتحت حصونا طالما رجعت	للناس عنها الملوك الصيد فى خجل
أنت الذي لم تدع للكفر من بلد	يأوي إليه ولا للدين من أمل

أحرزت من فتح عكا كلّ ماعجزت — عنـه الملـوك بعـزم غير منبتـل

عقيلـة المدن أمست من حصانتهـا — وصونها من ليـالى الدهر فى عقـل

كم قد دعتها ملوك الأرض راغبـة — فلم تجب أحـداً منهـم ولـم تصـل

حتى دعوت فلبت وهي طائعـة — بعـد الأنـاء لأمـر منـك ممتثـل

مـا زال غيرك فيها طامعـا وعلـى — يديـك قد كان هذا الفتح فى الأزل

قصدتها فأصبيت بعد ما فجعـت — فى أهلهـا من أسود الغيل بالغيـل

صدمتها بجيوش لو صدمت بهـا — شم الجبـال أزالتـها ولـم تـزل

فأصبحت بعد عز الملك خاضعة — لذلة الملك طـول الدهر فى سمـل

أمست خرابا وأضحى أهلها رمما — وسطرتها يـد الأيـام فى المثـل

هدمت ما شيدوا فرقت ما جمعوا — نقضت مـا أبرمـوه غير محتفـل

وعندمـا أصبحت قـفرا منازلهـم — من السواحل بعد الأهـل فى عطل

رحلت عنها ولكن قد أقمـت بهـا — من خوف بأسك جيشا غير مرتحل(♣)

(♣) التحفة الملوكية فى الدولة التركية
تاريخ دولة المماليك البحرية فى الفترة من ٦٤٨ ـ ٧١١ هجرية ، ص ١٢٨
لمؤلفه بيبرس المنصورى، نائب السلطنة فى مصر، المتوفى سنة ٧٢٥ هجرية
تحقيق دكتور عبد الحميد صالح حمدان .

اغتيال الأشرف خليل

... وعَثْرةُ الرأْي تُرْدي
(حافظ ابراهيم)

- الأشرف خليـــل (الشهيد بن الشهيد)
- اغتيــال ألأشرف خليـــل .
- الأمير حسام الدين طرنطاي ، نائب السلطنة .

- زعيمـا المؤامرة
  - الأمير بدر الدين بيــدرا (القاهر وهو المقهور)
  - حســام الدين لاجـين المنصوري (من قتل يقتل)

- مصير القاتل بدر الدين بيدرا
- مصير القاتل حسام الدين لاجين المنصورى .

ـ الأشرف خليـــل (الشهيد بن الشهيد)

كـان الأشـرف خليل قـد اسـتهل حكمـه بـالتخلص مـن بعـض رجـال الدولـة البارزين، الذين كانت لهم السطوة والنفوذ في عهد أبيه ، والتحكم فى زمام تحقيق الأمن بين السكان فى كافة أنحاء البلاد .

وبتوليه عرش السلطنة سنة ٦٨٩هـ /١٢٩٠م بعد وفاة أبيه المنصور قلاوون، وبما استهل به حكمـه من التخلص من بعض البارزين كما تقدم ، كان من الطبيعى أن يعود نفوذ الأمراء ، وتتجدد الصراعات الداخلية ، لكنه استطاع التغلب على هذه المصاعب كلها على الرغم من قصر مدة حكمه للبلاد، وبرهن على أنه حاكم كفء مهيب، شديد البأس، عارف بأحوال المملكة، حتى قال فيه ابن إياس في تاريخه :

> كان الأشرف بطلا لا يكل عن الحروب ليلا ونهارًا، ولا يُعرف من أبناء الملوك مَنْ كان يناظره في العزم والشجاعة والإقدام.

ويكفي الأشرف خليل مجدًا يخلد اسمه بين أعظم قادة التاريخ الإسلامي أنه استطاع استعادة عكّا من أيدي الصليبيين سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م ، بعد أن استعصت على مَنْ كان قبله من السلاطين لحصانتها، كما تابع جهاده في تتبع جيوش الصليبيين بالشام، واستعاد صوروحيفا وبيروت ، وظل يضيف انتصارات

عظيمة إلى سجل هذه الدولة كان من شأنها أن يظل العالم الإسلامي قويا مترابطا، ويقوم بدوره في البناء الحضاري .

وللدلالة على وطنيتـه وشجاعته وحرصه على رفعـة الإسلام والعروبـة نورد فيما يلي بضعة أسطر بعث بها إلى ملك المغول :

رسالة جوابية
من السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون
إلى ملك المغول كيختوا

أرسل ملك المغول كيختوا إلى الملك الأشرف خليل رسالة يطلب فيها منه أن يعيد له حلب لأنها مما فتحه أبوه هولاكو وهو يريد الإقامة فيها ، وإن رفض السلطان ذلك أخذ منه الشام كله ، فأجابه السلطان بما يلي :

قد وافق القان ما كان في نفسي ، فإني كنت على عزم من أخذ بغداد وقتل رجاله ، فإني أرجو أن أردها دار إسلام كما كانت ، وسينظر أينا يسبق إلى بلاد صاحبه .

(كتاب السلوك للمقريزى ج١،ق ٣-٧٨٦)

كان الأشرف يرى أن ليس هناك من خطر عاجل يأتي من قبرص ، وإنما الخطر حتما سوف يأتي من الشرق ، من المغول .

وتحدثنا كتب التاريخ أن كان هناك بضع أمراء تآمروا على اغتيال الأشرف جاء ذكرهم بالإسم كما سيأتى ذكره ، وإن اختلف المؤرخون حول بعض التفاصيل المتصلة بعملية القتل والتمثيل بجثـة الأشرف الشهيد . وقد تقرر الإكتفاء بإيراد ما ذكره المؤرخون عن اثنين من زعماء المؤامرة هما بدرالدين بيدرا وحسام الدين لاجين ، إذ أنهما اقدما على فعلتهما الشنعاء طمعا فى السلطنة أكثر من دافع الإنتقام لظلم لحق بهما . وقد أعلن كل منهما عن نفسه سلطانا بصورة متتابعة ، وإن لم يستمر الأول (بيدرا) لأكثر من يوم واحـد ، والثانى (لاجين لسنتين) . فهما إذن من الطامعين فى السلطنة ، ولذلك سقناهما كمثال فى أحداث الإغتيال كما سيأتى ذكره .

ـ اغتيــال الأشرف خليـــل

خرج السلطان في رحلة صيد ووصل خبر إلى بيدرا وجماعته أن السلطان سبق باقي الأمراء وليس معه سوى أمير واحد فلحقوا به. ضربه بيدرا أولاً فلم يقتله فتقدم لاجين قائلاً: "يا بيدرا! من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته." وضرب السلطان فأسقطه إلى الأرض. وبقيت جثته ملقاة في الصحراء أيامًا إلى أن نُقلت إلى القاهرة؛ حيث دفنت بالمدرسة التي أنشأها لنفسه بالقرب من ضريح السيدة نفيسة.

وفى رواية بيبرس المنصوري المعاصر للأحداث :

ومن غد ذلك اليوم ، ركب السلطان إلى الصيد فى عـدّة
قليلـة من صـغار المماليك الخاصكية الذين كان جانِحاً
إليهم ، وعاطفا عليهم ؛ فلاحت لبيدرا الفُرصة ، فركب
وركب معه من الأمراء حسام الدين لاجين المنصورى ،

وشمس الدين قراسنقر المنصوري ، وقد كان السلطان عزله من نيابة المملكة الحلبية وله فيها من حياة والده ، والأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة ، والطنبغا رأس نوبة ، ونوغية السلحدار، واقسنقر الحسامى ، ومحمد خواجا وغيرهم ، وتوجهوا إلى الجهة التي قصدها السلطان على أنهم يتصيّدون ، ولم يكن قصدهم إلا صيده، ثم أدركوه ، فلما رآهم استشعر ووقف ، فوثبوا عليه وثوب الأسود ، وثاروا عليه كالأراقم السود ، وبادره بيدرا بضربة ، فرده السلطان بزخمة طبل باز فقطع أذنه بجرح سالم ، وتقدم حسام الدين لاجين المنصوري فضربه ضربة قطعت عاتقه ، وأوهت علائقه، وطعنه الناق المنصوري في جوفه بسيفه فسقط صريعا . وكان مقتله في ثالث عشر المحرم سنة ٦٩٣ هجرية . (♣)

(♣) (مختار الأخبار ، لبيبرس لمنصوري ، ص ٩٥-٩٦)

ـ الأمير حسام الدين طرنطاي ، نائب السلطنة .

شهد معركة حمص مع السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٧٩ هـ ، وكان على رأس ميسرة المسلمين فى المعركة . وفى عام ٦٨٥ هـ ، عندما كان نائب السلطنة للسلطان المنصور قلاوون ، جرده السلطان إلى قلعة الكرك حيث نجح فى استمالة أولاد الظاهر بيبرس فى التسليم ومصاحبته الى القاهرة بعد اعطائهم الأمان . وفى

العام التالى ٦٨٦ هـ حاصار قلعة صهيون التى كان سنقر الأشقر المتمرد قد احتمى بها ، ونجح كذلك فى اقناع سنقر الأشقر بالإستسلام للسلطان المنصور قلاوون . وفى العام الذي تلاه ، ٦٨٩ هـ صاحب المنصور قلاوون فى حملته على عكا التي مات فيها السلطان وهو فى الطريق .

على أن نائب السلطنة حسام الدين طرنطاي كانت بينه وبين كل من : الأمير علم الدين سنجر الشجاعى والأمير بدر الدين بيدرا عداوات قديمة وأحقاد دفينة و شحناء متجددة متقادمة ، لا لشئ إلا لأن طرنطاي نائب السلطنة كان يراقبهما مراقبة دقيقة ، ويحول بينهما وبين سوء المقاصد . فما أن جلس الأشرف على عرش السلطنة إلا وألقى القبض على الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة فى عهد والده قلاوون . وقد سنحت الفرصة للأميرين وأتباعهما حتى أشاروا على الأشرف باعتقال طرنطاي ، فقبض عليه بعد وفاة أبيه بثمانية أيام . وصودرت أمواله وأودعت فى الخزائن السلطانية ، ونُهبت مماليكه وخيوله وممتلكاته . وولى الأشرف خليل مكانه فى نيابة السلطنة الأمير الثانى بدر الدين بيدرا ، وهذا بدوره استوزر شخاصا يسمى شمس الدين محمد بن السلعوس الشامى التاجر ، فبسط يده ولسانه وأطلق جبروته فى ميدان الأمر والنهي .

على أننا لم نجد فيما كتبه المؤرخون ما يدل على خروج نائب السلطنة حسام الدين طرنطاي على الطاعة أو اشتراكه فى جرم اغتيال الأشرف خليل ، وإنما أوردنا ذلك الجانب من سيرته المتاح لدينا مما تركه المؤرخون حتى تكتمل الصورة لدي القارئ ، ولعموم الفائدة ولأخذ الموعظة من أن (عثرة الرأي تُردي) .

ـ الأمير بدرالدين بيدرا (القاهر وهو المقهور)

كان من صغار أعيان السلطان قلاوون الذي رفعه وولاه الوزارة ونيابة السلطنة ، ثم أصبح بدر الدين نفســه سلطانا ليوم واحد فقـط بعد اغتيال الأشرف .

وبعد جلوس الأشرف خليل علـى عرش السلطنة ولـى الأمير بدر الدين بيدرا نيابة السلطنة بدلا من حسام الدين طرنطـاي . وفـى خضم تلك العلاقات المعقدة ، والأحقاد المتجددة ، حـدث أن وزيـر دولـة الأشـرف، وهـو شـمس الدين السلعوس ، توجــه لتجهيز الإقامـات ، فلم يجد فـى الحواصــل الـسلطانية والمعــاملات الديوانيــة مــا يكفــى الوظائف التى يُحتاج إليها ، والإقامات التى توجـه بسببها ووجد للأمير بدر الدين بيدرا شيئا كثيرا من الحواصل والأموال والغلال بكل إقليم، فصار يشى به عند السلطان، ويقـول لــه هـذه الأقـوال حتــى إنــه أوغـر صـدره ومـلأ بالموجدة علـى المـشار إليـه قلبـه . وأنكر السلطان علـى بيدرا وسبّــه ، وصـار يـُظهر لـه الإنكـار تـارة ويُبْـطنه أخـرى . وكـان بيـدرا قـد أذكـى العيـون لرصـده ، ورتـب أقواما من الخاصكية لسماع ما يقوله فى حقـه ....

وظهر لبيدرا تغيّر السلطان ، وأسرّه فى نفسه ، وشرع فى الإتفاق مع الخاصكية على قتلـه . وكـان السلطان عند

عوده من الصعيد قد أمسك الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وأعدمه ، وأمسك الأمير ركن الدين طقصوا وأعدمه ، وأمسك الأمير حسام الدين لاجين وأودعه الإعتقال ، وأرسل إليه من يخنقه فى الجب بوتر ، فلما خنق أزبد وظُن أنه مات ، فخلى عنه ، وأراد الله حياته ، وشفع فيه بدر الدين بيدرا ، فأجيب سؤاله ، وأحضره بين يديه فى ملإ من الأمراء الأكابر والأصاغر ، وسلّمه لبيدرا وقال له : خذ هذا يكون لك مملوكا ، وافتصل به . والمذكور كان أكبر من بيدرا منزلة ، فأثر هذا القول فى نفسه ، واتفقوا عليه جميعا .

وفى ثالث المحرم سنة ٦٩٣هـ ، خرج للصيد ، ولما وصل إلى تروجه أعطى الأمراء دستورا ليتوجهوا إلى جهاتهم ، ويتفرقوا فى إقطاعاتهم . وكان الوزير المذكور (شمس الدين بن السلعوس) قد تقدم الى الإسكندرية لتجهيز الإقامات، وتحصيل الأقمشة والإستعمالات والأموال التى يُحتاج اليها برسم الإنعام والإطلاقات (جمع إطلاق وهو قطعة أرض تمنح وتعفى من جميع أنواع الضرائب) . ووردت كتبه من هناك بأنه لم يجد بالثغر مالا ولا قماشا بحكم أن نواب يدرا استولوا على المتاجر والإستعمالات ،

> فاشتد غضب السلطان ، وأحضر بيدرا وشتمه أبلغ شتم . ولما خرج من قُدامه علم أنه أنكاه ، فأراد أن يتلافاه ، وأرسل إليه ألف دينار ، فلم يفد ذلك العطاء ، ولا استدرك فارط الخطاء . واتفق بيدرا مع الأمراء الذين حوله ، والطائفة التى تسمع قوله (♣)

(♣) (مختار الأخبار ، لبيبرس لمنصوري ، ص ٩٥-٩٦)

ـ حسام الدين لاجين المنصوري (من قتل يُقتل)

يبدو من روايات المؤرخين أن السلطان الأشرف خليل بن السلطان قلاوون لم يكن يظهر الاحترام الواجب للأمراء الكبار حتى وصل بهم الأمر إلى قتله. ساءت العلاقة بين الأشرف خليل وحسام الدين لاجين بسبب الوشايات وبسبب غضب السلطان على حميه الأمير ركن الدين بيبرس طقصوا. قبض السلطان على لاجين وحميه وآخرين وأخرجوا من الجب ليُخنقوا وخنقوا جميعاً حتى ماتوا عدا لاجين.

يقول المقريزي عن لاجين في كتاب السلوك :

> حسام الدين لاجين المنصوري المعروف بالصغير كان أولاً من جملة مماليك الملك المنصور علي بن الملك المعز أيبك، فلما خُلع اشتراه الأمير سيف الدين قلاوون وهو أمير بسبعمائة وخمسين درهماً، من غير مالك شرعي، فلما تبين له أنه من مماليك المنصور اشتراه مرة

ثانية، بحكم بيع قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز له عن المنصور وهو غائب ببلاد الأشكري. وعرف حين بيعه بشقير، فربي عند قلاوون وقيل له لاجين الصغير، وترقى في خدمته من الأوشاقية إلى السلاح دارية. ثم أمّره قلاوون واستنابه بدمشق لما ملك ، وهو لا يعرف إلا بلاجين الصغير، فشكرت سيرته في النيابة ، وأحبته الرعية لعفته عما في أيديهم ، فلما ملك الأشرف خليل بن قلاوون قبض عليه وعزله عن نيابة دمشق ، ثم أفرج عنه وولاه إمرة السلاح دار كما كان قبل استنابته على دمشق . ثم بلغه أن الأشرف يريد القبض عليه ثانياً، ففر من داره بدمشق ، فقبض عليه وحمل إلى قلعة الجبل ، وأمر بخنقه قدام السلطان. ثم نجا من القتل بشفاعة الأمير بدر الدين بَيدرا ، وأعيد إلى الخدمة على عادته ، واشترك مع بيدرا في قتل الأشرف خليل...ثم اختفى خبره مدة، وتنقل في المدن إلى أن تحدث الأمير زين الدين كتبغا في أمره ، فعفي عنه وأعيد إلى إمرته كما كان. فلما صار زين الدين كتبغا سلطاناً، استقر لاجين في نيابة السلطنة مصر، إلى أن ركب على كتبغا وفر منه............

وتولى خنق لاجين الأمير قراسنقر، فلما وضع الوتر في عنقه انقطع، فقال :يا خوند ما لي ذنب إلا حميي طقصوا وقد هلك ، وأنا أطلق ابنته . وكان قراسنقر له به عناية، فتلطف ولم يعجل عليه، لما أراد الله من أن لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه ، وانتظر أن تقع به شفاعة . فشفع الأمير بدر الدين بيدرا في لاجين، وساعده من حضر من الأمراء، فعفى عنه ظناً أنه لا يعيش...

ثم كان أن استعدى وزير الأشرف خليل السلطان على الأمير بدر الدين بيدرا بسبب الكراهية بينهما. اشتد غضب السلطان على بيدرا وسبه بحضرة الأمراء فخاف بيدرا وجمع خشداشيته، ومنهم حسام الدين لاجين، وقرروا قتل السلطان. وقد خرج السلطان في رحلة صيد ووصل خبر إلى بيدرا وجماعته أن السلطان سبق باقي الأمراء وليس معه سوى أمير واحد فلحقوا به. وضربه بيدرا أولاً فلم يقتله فتقدم لاجين قائلاً: "يا بيدرا! من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته."وضرب السلطان فأسقطه إلى الأرض .

تقول بعض الروايات أن لاجين ظل مختبئاً بعد ذلك في جامع ابن طولون الذي كان مهجوراً في ذلك الوقت وأنه نذر إن قدر الله له أن ينجو ويصل إلى السلطنة أن يصلح

هذا الجامع . وبعد ثلاث سنوات ، أي في عام ١٢٩٦ م ، يشاء الله سبحانه وتعالى أن يصل لاجين إلى السلطنة بالفعل ليحكم لمدة سنتين وشهرين.

وظهر لاجين وقراسنقر واستعانا بأحد أمراء زين الدين كتبغا الذي كان نائب السلطان فتوسط لهما كتبغا فعفا عنهما السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي كان طفلاً في ذلك الوقت . وأصلح كتبغا بينهم وبين باقي الأمراء.

وقد خلع الأمراء السلطان الناصر محمد بعد ذلك وأقاموا مكانه كتبغا الذي حكم مدة سنتين ولى فيهما لاجين نيابة مصر. ودارت على كتبغا الدوائر، إذ قرر الأمراء التخلص منه وكان زعيمهم لاجين ولكن كان كتبغا محظوظاً فتمكن من الهرب قبل أن يقتل ووصل إلى دمشق وخلع نفسه من السلطنة هناك. تولى لاجين السلطنة وقرر إرسال السلطان السابق الصغير صاحب الحق بالوراثة - السلطان الناصر محمد بن قلاوون - إلى الكرك.

يقول المقريزي أن لاجين كان يعرف أنه لابد مقتول منذ أن قتل الملك الأشرف حتى أنه يوم اغتياله ظل يردد: "من قَتَل قُتِل." (♣)

(♣) تقي الدين المقريزي السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الثاني _ بيروت، ١٩٩٧م

ـ مصير بدر الدين بيـدرا

وأما أمر بيدرا فإنه لما قتل السلطان بايع الأمراء بيدرا بالسلطنة ولقبوه بالملك الأوحد وبات تلك الليلة فإن قتل الأشرف كان بين الظهر والعصر وأصبح ثاني يومه سار بيدرا بالعساكر إلى نحو الديار المصرية وبينما بيدرا سائر بعساكره وإذا بغبار عظيم قد علا وملأ الجو وقرب منه وإذا بالطلب عظيم فيه نحو ألف وخمسمائة فارس من الخاصكية الأشرفية ومعهم الأمير زين الدين كتبغا - وهو الذي تسلطن بعد ذلك بمدة على ما يأتي ذكره - والأمير حسام الدين الأستادار طالبين بيدرًا بدم أستاذهم السلطان الملك الأشرف خليل المذكور وأخذ الثأر منه ومن أصحابه وكان ذلك بالطرانة في يوم الأحد أول النهار فما كان غير ساعة إلا والتقوا وكان بيدرا لما رآهم صف من معه من أصحابه للقتال فصدموه الأشرفية صدمة صادقة وحملوا عليه حملة واحدة فرقوا شمله وهرب أكثر من كان معه فحينئذ أحاطوا ببيدرا وقبضوا عليه وحزوا رأسه وقيل: إنهم قطعوا يده قبل أن يحزوا رأسه كما قطعت يد أستاذهم الملك الأشرف بضربة السيف ولما حزوا رأسه حملوه على رمح وسيروه إلى القاهرة فطافوا به ثم عادوا نحو القاهرة حتى وصلوا بر

الجيزة فلم يمكنهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعي من التعدية إلى بر مصر لأن السلطان الملك الأشرف كان قد تركه في القلعة عند سفره نائب السلطنة بها فلم يلتفتوا إليه وأرادوا التعدية فأمر الشجاعي المراكب والشواني فعدت إلى بر القاهرة وبقي العسكر والأمراء على جانب البحر مقيمين حتى مشت بينهم الرسل على أن يمكنهم الشجاعي من العبور حتى يقيموا عوض السلطان أخاه الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو صغير تسكينًا لما وقع وإخمادًا للفتنة فأجلسوه على تخت الملك بقلعة الجبل في رابع عشر المحرم من سنة ثلاث وتسعين وستمائة المذكورة وأن يكون نائب السلطنة الأمير زين الدين كتبغا والوزير الأمير علم الدين سنجر الشجاعي وحسام الدين أستاذ الدار أتابك العساكر.(♣)

(♣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي

- مصير حسام الدين لاجين

وجاء دور لاجين أن يُقتل كسابقيه ، إذ تصارع أمراؤه فقتل في يوم أصبح فيه صائماً. و بعد الإفطار كان يلعب الشطرنج فدخل عليه أحد أمرائه الموثوق بهم وانتهز فرصة قيامه للصلاة فضرب كتفه كما ضرب لاجين الأشرف خليل من قبل ثم أجهز عليه باقي المتآمرين.

ـ قالوا فى الأشرف خليـــل

لما قتل الملك الأشرف خليل المذكور بقي ملقى إلى أن خرج والي تروجة من بعد قتله بيومين ومعه أهل تروجة وأخذوه وغسلوه وكفنوه وجعلوه في تابوت في دار الوالي إلى أن سيروا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجبا الناصري إلى مصرعه فأخذه في تابوت ووصل به إلى القاهرة سحر يوم الخميس ثاني عشرين صفر فدفن في تربة والدته بجوار أخيه الملك الصالح علي بن قلاوون - رحمهما الله تعالى -

ورثاه ابن حبيب بقصيدة أولها:

الكامل تبًا لأقوام بمالك رقهـــم	فتكوا وما رقوا لحالـــة مترف
وافوه غدرًا ثم صالـــوا جملــــة	بالمشرفي على المليك الأشرف
وافى شهيدًا نحو روضات الرضا	يختال بين مزهـر ومزخـــرف

وقال النويرى في تاريخه:

كان ملكًا مهيبًا شجاعًا مقدامًا جسورًا جوادًا كريمًا بالمال أنفق على الجيش في هذه الثلاث سنين ثلاث نفقات:

الأولى في أول جلوسه في السلطنة في مال طرنطاي

والثانية عند توجهه إلى عكا

والثالثة عند توجهه إلى قلعة الروم

انتهى كلام النويري باختصار.

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى في تاريخه:

" وكان قبل ولاية الملك الأشرف يؤخذ عند باب الجابية بدمشق عن كل حمل خمسة دراهم مكسًا فأول ما تسلطن وردت إلى دمشق مسامحة بإسقاط هذا وبين سطور المرسوم بقلم العلامة بخطه:

لتسقط عن رعايانا هذه الظلامة ويستجلب لنا الدعاء من الخاصة والعامة "

انتهى كلام الصفدي.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه: بعد أن ساق من أحواله قطعة جيدة فقال: " ولو طالت أيامه أو حياته لأخذ العراق وغيرها فإنه كان بطلا شجاعًا مقدامًا مهيبًا عالي الهمة يملأ العين ويرجف القلب رأيته مرات وكان ضخمًا سمينًا كبير الوجه بديع الجمال مستدير اللحية على وجهه رونق الحسن وهيبة السلطنة وكان إلى جوده وبذله الأموال في أغراضه المنتهى.

وكان مخوف السطوة شديد الوطأة قوي البطش تخافه الملوك في أمصارها والوحوش العادية في آجامها ، أباد جماعة من كبار الدولة.

وكان منهمكًا في اللذات لا يعبأ بالتحرز لنفسه لفرط شجاعته ولم أحسبه بلغ ثلاثين سنة ولعل الله عز وجل قد عفا عنه وأوجب له الجنة لكثرة جهاده وإنكائه في الكفار "

انتهى كلام الذهبي باختصار.

وكان الأشرف مفرط الشجاعة والإقدام وجمهور الناس على أنه أشجع ملوك الترك قديمًا وحديثًا بلا مدافعة ثم من بعده الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق وشهرتهما في ذلك تغني عن الإطناب في ذكرهما. (♣)

(♣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي

(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)



عَكّا

بعد الأشرف خليل

- ٧٠٠ سنة مباركة
- أحمد باشا الجزار
- نابوليون بونابرت
- عكا في ا لقرن التاسع عشر

ـ ٧٠٠ سنة مباركـــة

ظلت عكا بعد تحريرها من الصليبيين عام ١٢٩١م في عيشة ناعمة هانئة راضية ، لا يعكر صفو سكانها صرخات الحرب أو نواعق القتال ، وازدهرت فيها التجارة ، ونشطت من حولها الأعمال والأموال ، ولم يخش تجار دمشق ولا باقي المدن الداخلية تحكم أحد من أعدائها في الميناء . حتى عندما احتلها العثمانيون ، لم يسمع منادي الحرب ولا داعى القتال .

لم تكن عكا فقط هي التي كانت ناعمة في سلامها الحقيقي ، وإنما الشرق كله بعد أن تحرر من الصليبيين على اختلاف أصولهم ونِحَلهم . فلا جيوش تتجمع في قبرص للهجوم على المدن الإسلامية ، ولا أساطيل تمخر عباب البحار لتعزيز العدوان ونشر الخراب وإسالة الدماء البريئة الزكية .

وكان ذلك شأن المسيحيين الوطنيين أيضـا ، فهم أتباع العقيدة الأرثوذكسية الذين لاقوا صنوف الإضطهاد على يد الصليبيين الأوروبيين أصحاب الكنيسة اللاتينية من أتباع العقيدة الكاثوليكية .

نحوا من سبعة قرون لم تطأ بلاد الشرق قدم صليبية مسيحية للعدوان ، إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة الإمبراطورية العثمانية عام ١٩١٧م ، وإلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٦م ، ونزول القوات البريطانية والفرنسية أرض الإسلام مرة أخري باحتلال فرنسا لسوريا ولبنـان ، واحتلال انجلترا لمصر والعراق

وفرض انتداب على فلسطين ، بعد أن طردهم الأشرف خليل من ما يقرب من سبعمائة سنة .

وتنقسم الفترة المملوكية في واقع الأمر إلى فترتين رئيسيتين ، متعارضتين تعارضا بيّنا :

♣ **الفترة الأولى**: فترة الازدهار، وتمتد الفترة الأولى من ظهور المماليك على مسرح الأحداث عام ١٢٥٠م ، عندما حكم أول المماليك (شجرة الدر) وتنتهي عام ١٥١٧م عندما انتصر السلطان العثماني سليم الأول على آخر سلاطين المماليك طومان باى الثاني . أي ما يقرب من خمسمائة سنة .

♣ **الفترة الثانية**: فترة الاضمحلال، التي تمتد من عام ١٥١٧م سنة الغزو العثماني وحتى عام ١٨١١م عندما قضى محمد على باشا على المماليك نهائيا بالقضاء عليهم فيما يشتهر في التاريخ باسم "مذبحة القلعــة". أي ما يقرب من ثلاثمائة سنــة .

وإذن ، انتهت الحقبة المملوكية المؤثرة سنة ١٥١٧م بانتصار السلطان سليم الأول العثمانى على آخر المماليك البرجية طومان باي ، كما تقدم . وقد حكم العثمانيون البلاد من عام ١٥١٧ حتى ١٩١٨، أي مدة ٤٠١ سنة، استعادت عكا خلالها مكانتها وتطورت وازدهرت في أيام الزعيمين ضاهر العمر وأحمد باشا الجزار.

كان طاهر العمر أمير الجليل في الفترة ١٧٤٥ ــ ١٧٧٦، وقد بنى سورًا حول المدينة من الجهة الشرقية لحمايتها من أي هجوم برّي، كما بنى قلعة في الشمال

الغربـي مـن المدينـة والتـي أصـبحت لاحقـا سـجنًا فـي ايـام العثمـانيين والأنتـداب البريطاني. وتم بناء مسجدين وحصل اليهود على مبنى ليصبح كنيسًا لهم. كما رمم ضاهر العمر الخانات وشيد سوقاً تجارية في مركز المدينة وأعاد ترميم ميناء عكا وحصّن أسوارها الغربية ونتيجة لكل ذلك ازدهرت المدينة اقتصاديا مرة أخرى .

ـ أحمد باشا الجزار

ولـد أحمـد باشـا الجـزار فـي البوسـنة وتعلـم فـي مـصر وهـو مـسلم متـدين وعسكري، أطلق عليه اسم الجزار بسبب قسوته. وفي عام ١٧٧٦ م أصبح حاكم عكا وعُين واليًا على صيدا كما عُين لاحقًا واليًا على دمشق.

واصل الجزار العمران الذي بدأه سلفه بقوة أكبر. فقد بنى جامع الجزار. وهو يعتبر أجمل جامع في البلاد بعد قبة الصخرة في القدس. كما بنى خان العمدان والجامع التركي وأقام مساجد وخانات أخرى وحصّن أسوار المدينة.

ـ نابوليون بونابرت

يفاجئنـا التاريخ بين الحين والآخر برجال يتركون بصماتهم الدامية على الإنسانية وعلى كثير من الأماكن فى هذه الأرض التى نعيش عليها . وما أنشطتهم الدامية تلك إلا انعكاسا لأوهام وخيالات فى أذهانهم ، ما أن تغادر الذهن إلى الواقع ، إلا وتلقى بهم فى حضيض سحيق من الدماء والخراب والدمار . أما الفلاسفة وأهل الفكر ، فنادرا ما يخرجون بأفكارهم إلى ميادين القتال ، وربما يحدث أن يجد البعض منهم عونا من زعيم كبير أو أمير من الأمراء ممن تتوفر لهم القدرة على فرض تلك

الأفكار بالقوة . وأغلب من ينطلقون إلى الحرب ، وقد أسروا الجموع بحماس خطبهم أو أحاديثهم ، ينتهى بهم الأمر الى لاشئ وإن طال بهم وبذريتهم الزمان .

ومن بين هؤلاء المخدوعين بأفكار العظمة والسيطرة والسطوة نابوليون بونابرت ، الذي سحب فرنسا وراءه فى حروب طاحنة خلفت أوروبا وأماكن كثيرة ممزقة ، بل انطلق بجيوشه الى موسكو حيث هزمته الثلوج ، وعاد بخفى حنين .

وفى شهر مايو ١٧٩٨م أبحر بجيش من جيوشه إلى مصر ، انقيادا وراء فكرة غزو الإمبراطورية العثمانية التى كانت آنذاك تسيطر وتهيمن على مصر وأغلب البلدان العربية . ولقد فشلت حملته على مصر فشلا ذريعا بهزيمة الأسطول الفرنسى فى معركة أبى قير البحرية التى غلب فيها امير البحر الإنجليزي هوراسيو نيلسون Horatio Nelson في أول أغسطس سنة ١٧٩٨م .

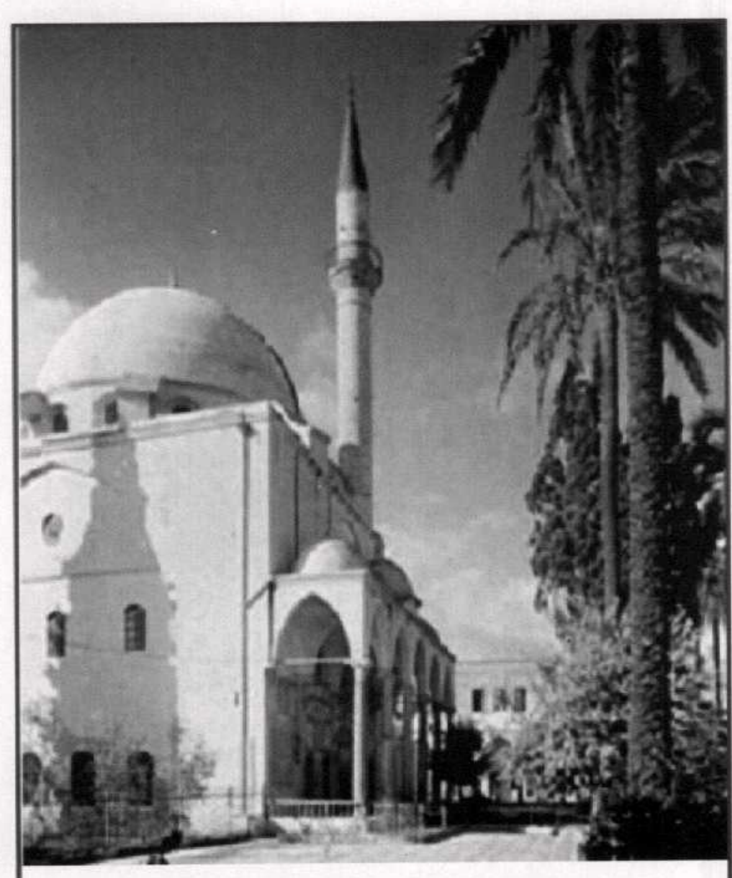
وفى العام التالى ١٧٩٩م فشل حصاره الذي ضربه على مدينة عكا . والمشهور عنه أنه رمى قبعته على أسوار عكا قائلا : أنستني عكا عظمتي !

ولقد أشتهر الجزار بفضل صمود جيشه في وجه حصار نابليون للمدينة عام ١٧٩٩ وقد نجح في مواجهة جيش نابليون بفضل مساعدة البريطانيين، وكان له الفضل في تشجيع المحاصَرين على محاربة الفرنسيين وبادر الى شن غارات خارج الأسوار والحق إصابات بالفرنسيين وأضرّ بالروح القتالية لديهم، وفي اعقاب انسحاب نابليون أصبح الجزار الحاكم المركزي لشمال فلسطين وسوريا أيضًا.

ـ عكا فى ا لقرن التاسع عشر

وخلال القرن التاسع عشر توالى على عكا عدة حكام، حكمها سليمان باشا الذي خلف الجزار بين ١٨٠٥ – ١٨١٨م ، وعبد الله باشا بعده. وبين الاعوام ١٨٣١ – ١٨٤١م احتل المنطقة محمد على باشا والي مصر، ولم تصمد أسوار عكا أمام جيش ابنه ابراهيم. وقد نجح البريطانيون عام ١٨٤١ في طرد محمد على من عكا الى مصر واعادة عكا الى سلطة العثمانيين. تميزت هذه الفترة بتدخل استيطاني من جانب الدول الأوروبية الكبرى وقدوم أوروبيون الى المنطقة بهدف التجارة وزيارة الاماكن المقدسة والبحث عن الغامرات، سكن المدينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حوالي ١٥ الف نسمه، غالبيتهم من المسلمين وأقليتهم من المسيحيين اليهود. وبخلاف المناطق الأخرى لم تشهد عكا ازديادًا كبيرًا في عدد السكان، فقد انخفضت التجارة ولحقت بالمدينة أضرارًا كبيرة بعد طرد محمد على باشا منها في حينه حيث منع الحكام الأتراك سكان المدينة من توسيعها خارج الاسوار واعتبرها الحكم العثماني كنزًا استراتيجيًا ولذلك حصن أسوارها ولكن لم يطورها اقتصاديًا.

(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)



Great Mosque of al-Jazzar,
built in 1781, 'Akka, Occupied Palestine

مسجد الجزار الكبير

بُـني ١٧٨١م ، عكا ، فلسطين المحتلة



نابليون بونابرت عجز عن فتح عكا
رمى بقبعته فوق سورها قائلاً لقد أنستني عكا عظمتي



Napoleon: Acre made me forget my grandeur

نابليون : لقد أنستني عكا عظمتي

ــ عكا فى ا نقرن العشرين

ــ فترة الانتداب البريطاني

أحدثت سلطات الانتداب نموًا وازدهارًا متجددًا في عكا، وطوّرت المدينة. صحيح أن حيفا احتلت مكان الصدارة بحريًا ولكن ميناء عكا ظل يعمل وان يكن على نطاق أضيق. ومع ذلك فقد ارتفع عدد سكان المدينة من ٦ آلاف نسمة عام ١٩٢٠ الى حوالي ١٣ الف

شهدت سنوات العشرينيات والثلاثينيات ترك اليهود عكا وانتقالهم الى حيفا بسبب تطوّر الاخيرة. وبدأ الفلسطينيون ينظمون نفسهم سياسيًا. كان الشيخ أسعد الشقيري احد الشخصيات الفاعلة في الجانب الفلسطيني في عكا، وكان حتى سنوات الثلاثينيات مقربًا من عائلة النشاشيبي التي كان لها تأثير في شمال البلاد، ومن الممكن أن يكون ابنه الدكتور أنور الشقيري قد قتل بسبب ذلك على أيدي مؤيدي الحسينيين.

في عام ١٩٣٠ أقيم الحزب الليبرالي ومن بين قادته توفيق العكي، كما عمل في عكا أيضًا حزب الاستقلال الذي شكل طرفًا في قيادة الانتفاضة الأولى ــ الثورة العربية في السنوات ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩. الكثيرون من سكان عكا المسلمون شاركوا في الاضراب الكبير الذي نظمته اللجنة العربية العليا، عُقدت في المدينة مؤتمرات وجرت مظاهرات وعمليات مقاومة ضد الجيش البريطاني والمستعمرات اليهودية في الجليل الغربي.

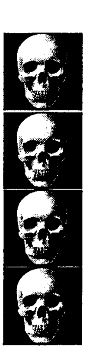
كان وضع مدينة عكا غامضًا في أواخر أيام الانتداب البريطاني في فلسطين. سكن المدينة حوالي ١٤ الف نسمة. وحسب قرار التقسيم رقم ١٨١ الصادر عن الأمم المتحدة في تشرين ثاني ١٩٤٧ فان عكا كانت من نصيب الدولة العربيه، مثلها في ذلك مثل بقية الجليل الغربي. ولم يشارك سكان عكا في الحرب التي اندلعت بعد قرار التقسيم، ورفضوا التعاون مع فوزي القاوقجي، قائد جيش الانقاذ الذي قدم الى فلسطين من لبنان. وحسب ما يذكر المؤرخ العكي، فايز الكردي، في كتابه "عكا بين الماضي والحاضر" فان القيادة المحلية شهدت الهدوء والسكينة، المدينه لم تُحصّن ولم توفـّر السلاح للمقاتلين وذلك لأنه كان من المعروف أن تكون عكا ضمن الدولة العربية. لقد نشطت في المدينة "لجنة قومية" عملت على تزويد المواطنين بالغذاء والوقود وتوفير الامن لهم، وكان من المفروض ان تتولى اللجنة صلاحيات ادارة المدينة مع مغادرة البريطانيين لها، هذه اللجنة لم تفسح بموطئ قدم داخل المدينة لمنظمة مثل "النجادة" و"الفتوة" وهي منظمات شبه عسكرية مرتبطة بالهيئة العربية العليا.



الفصل السادس

الإرهـــــاب

- في عكـا
- منظمة إيرجون زيفائى الإرهابية
- إرهابيـــــون



- دافيد بنجوريون
- اسحق شامير (يازيرنيكي)
- مناحم بيجين
- أريـيــل شــــارون

ـ منظمة إيرجون زيفانى الإرهابية

Irgun Zeva'i Le'umi

"The National Military Organization" (Etzel, I.Z.L.)

منظمة إيرجون زيفاني ليؤومى (إيتزيل) المنظمة الوطنية العسكرية

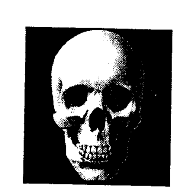
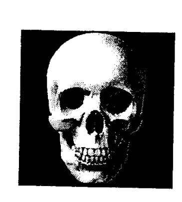
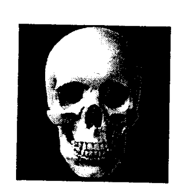
منظمة سرية يهودية مسلحة أسسها عام ١٩٣١م مجموعة من قادة الهجانة Haganah (منظمة سرية عسكرية أخري فى أرض اسرائيل Eretz Yisrael ، استمرت من ١٩٢٠ حتى ١٩٤٨م) . وانشق قادتها على الهجانة احتجاجا على ميثاق الدفاع الخاص بها . وفى ا بريل ١٩٣٧م ، وأثناء إضطراب البلدان العربية ، انقسمت المنظمة الى قسمين ، عاد حوالى نصف أعضائها إلى الهجانة ، والنصف الأخر شكل منظمة إيرجون زيفاني ليؤومي (واختصارها إيتزيل Etzel)، وهى المنظمة التي كانت من الناحية الأيديولوجية متصلة بحركة إعادة التقييم وقبلت سلطة قائدها فلاديمير يابوتينسكى Vladimir Jabotinsky.

وأنكرت منظمة إيرجون ما كانت تسير عليها الهجانة سياسة "التهدئة"، وقامت بهجمات مسلحة ضد العرب أدانتها الوكالة اليهودية ؛ واعتقلت السلطات البريطانية الكثير من أعضائها ، وشُنق أحد أعضائها (شلوم بن يوسف) لإطلاقه الرصاص على حافلة عربية . وبعد نشر الورقة البيضاء فى شهر مايو ١٩٣٩م ، قامت منظمة إيرجون بتوجيه أنشطتها ضد سلطات الإنتداب البريطاني .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية أعلنت المنظمة عن هدنة أدت إلى الإنقسام الثانى ، والتحق أعضاء من المنظمة بوحدات الجيش البريطانى الفلسطينية ، وفيما بعد الفيلق اليهودي .

ومن عام ١٩٤٣م ، ترأس مناحم بيجين منظمة إيرجون زفائي ليؤومي التى أعلنت فى العام التالى ١٩٤٤م الحرب على الإدارة البريطانية ؛ فكانت تهاجم وتنسف المكاتب الحكومية والمنشآت العسكرية ونقاط الشرطة . وتحركت الوكالة اليهودية ومعها الهجانة ضد منظمة إيرجون ، وبعد تفككها عام ١٩٤٦م واصلت مهاجمة الأهداف الحكومية والعسكرية البريطانية .

وفى ابريل ١٩٤٧م شُنق أربعة أعضاء من المنظمة فى سجن عكا . وفى شهر مايو ١٩٤٧م هاجمت القلعة فى عكا وحررت ٤١ سجينا . وفى يوليو ١٩٤٧م ، وبعد شنق ثلاثة أعضاء آخرين من المنظمة ، قامت بشنق جاويشين بريطانيين . وفى شهر سبتمبر ١٩٤٨م اندمجت المنظمة فى جيش الدولة اليهودية الجديدة .

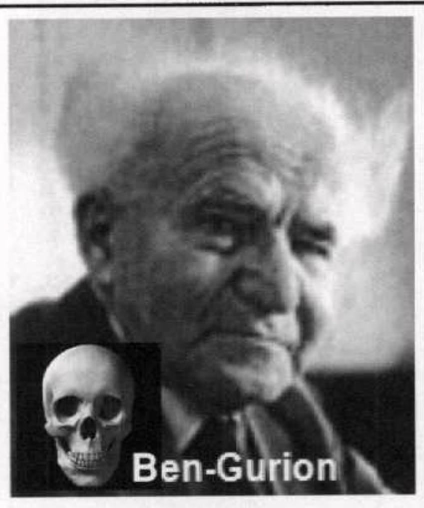






Irgun poster showing their view of the Land of Israel

لافتـــة منظمة إيرجون الإرهابية تصور نظرهم لأرض إسرائيل

- إرهابـــــــيون



David Ben-Gurion

(Polish born (1886-1973) was Prime Minister of Israel 1948-53, 1955-63) Chief architect of the state of Israel and revered as Father of the Nation. **□We must use terror, assassination, intimidation, land confiscation, and the cutting of all social services to rid the Galilee of its Arab population.□**

"Let us not ignore the truth among ourselves ... politically we are the aggressors and they (The Palestinians) **defend themselves... The country is theirs, because they inhabit it, whereas we want to come here and settle down, and in their view we want to take away from them their country**

دافيد بنجوريون :

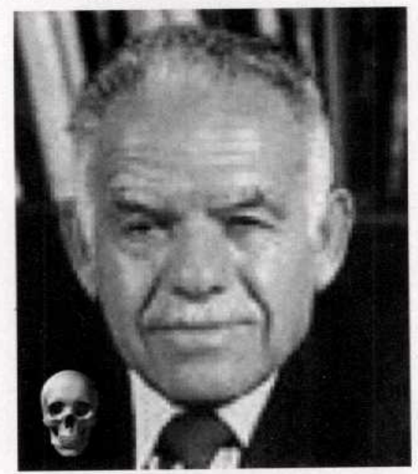
بولندي المولد (١٨٨٦– ١٩٧٣م) ، رئيس وزراء اسرائيل (١٩٤٨ – ١٩٥٣ و ١٩٥٥ -١٩٦٣) . المهندس الرئيسى لدولة اسرائيل ، ويبجّل على أنه (أبو الأمـة) .

من أقواله :

لابد أن نستخدم الإرهاب ، والإغتيال ، والتهديد ، ومصادرة الأراضى ، وقطع كافة الخدمات الإجتماعية لتخليص الجليل من سكانه العرب . ولا ينبغى لنا تجاهل الحقيقة فيما بيننـا ... فمن الناحية السياسية نحن المعتدون ، وهم (الفلسطينيون) يدافعون عن أنفسهم ... إن البلد بلدهم لأنهم يسكنونها ، بينما نريد نحن أن نأتى ونستقر فيها ، فهم يرون أننا نريد أن نأخذ منهم بلدهم.

المصدر: **The Official Website of Representative David Duke, PhD**

- إرهابـــــــيون



Yitzhak Shamir (Jazernicki)

(Polish born (1915 -) was Prime Minister of Israel 1983-84, 1986-92) Shamir was a member of two militant Jewish underground organizations which were active before Israel gained its independence in 1948: first, the Irgun Zva'i Leumi (known as the "Irgun" or "organization") and later, the Lohamei Herut Israel ("Lehi," also known as the Stern Gang).

"The Palestinians would be crushed like grasshoppers ... heads smashed against the boulders and walls." -- in a speech to Jewish settlers - New York Times 1 April 1988

اسحق شامير (يازيرنيكي)

(بولندي المولد فى ١٩١٥ –) كان رئيس ورزاء اسرائيل (١٩٨٣ – ١٩٨٤م) و (١٩٨٦ – ١٩٩٢م)

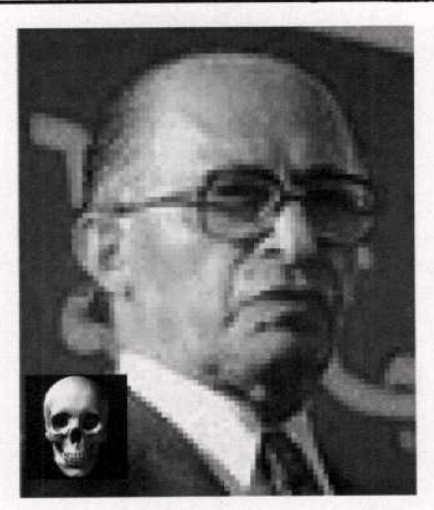
كان شامير عضوا فى منظمتين سريتين يهوديتين كانتا تعملان بنشاط قبل قيام دولة اسرائيل فى سنة ١٩٤٨م : الأولى هي منظمة إرجون زفاني لينومى (المعروفة باسم "إريجون" أو "المنظمة") وفيما بعد كان عضوا فى منظمة ليهومي هيـروت اسرائيل ("ليهى Lehi" كما تعرف أيضا باسم عصابة شتيرن).

".... سوف يُسْحَق الفلسطينيون مثل حشرات الجراد ، فتتحطم رؤوسهم بين صخور الجلمود والحوائط "

فى كلمة ألقاها لمستوطنين يهود جريدة نيويورك تايمز بتارخ ١ ابريل ١٩٨٨م

المصدر: <u>**The Official Website of Representative David Duke, PhD**</u>

- إرهابـــــيون



Mehachem Begin
(Russian bortn (1913-1992) was Prime Minister of Israel 1977 – 1983)
"The Partition of Palestine is illegal. It will never be recognized ... Jerusalem was and will for ever be our (The Jews) capital. Eretz Israel (the biblical term "Land of Israel" between the Mediterranean sea and the river Jordon) will be restored to the people of Israel. All of it. And for Ever." – the day after the UN vote to partition Palestine.

مناحم بيجين

روسى المولد (١٩١٣ – ١٩٩٢) كان رئيس وزراء اسرائيل ١٩٧٧ – ١٩٨٣م
"إن تقسيم فلسطين غير قانونى . ولن يعترف به أبدا ... أورشليم كانت وستكون إلى الأبد عاصمتنـا (اليهود) . إن إريتس إسرائيل (المصطلح التوراتى "أرض اسرائيل" الواقعة بين البحـر المتوسـط ونهر الأردن ، سوف تبقـى لشعب اسرائيل . كلهـا ، وللأبـد ." –
فى اليوم التالى لتصويت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين .

المصدر: **The Official Website of Representative David Duke, PhD**

إرهابـــــــيون

مناحم بيجين : مطلوب القبض عليه



Menachem Begin was leader of the Jewish "Irgun Zvai Leumi" terrorist gang which blew up the British High Commission in Jeruslalem in 1946 killing 91 people including 15 Jews ...

كان مناحم بيجين زعيم عصابة "إيرجون زفاني ليهومى" اليهودية الإرهابية التى نسفت القيادة العليا البريطانية فى القدس عام ١٩٤٦م فقتلت ٩١ شخصا من بينهم ١٥ يهوديـــا ...

المصدر: **The Official Website of Representative David Duke, PhD**



Anwar Sadat & Mehachem Begin

The Nobel Peace Prize 1978

For Terrorism

مناحم بيجين وأنور السادات

جائزة نوبل للسلام ١٩٧٨

وللإرهــاب



- إرهابـــــيون





Blood-Thirsty Criminal

Ariel Sharon

The (Israeli) Minister of defense on the time of Sabra & Shatila massacre and the instigator and the planner to the bloody massacre... He became the Zionit Prime Minister as he was elected after profaining Al-Aqsa Mosque on September, 2000 while he was the leader of the Likud.

مجرم متعطش للدماء ــ أريـيل شارون

وزيـر الـدفاع (الإسـرائيلى) وقت مذبحـة صـبرا وشـاتيلا المحـرّض عليها ومخطط المذبحــة الدمويــة ... أصبح صـهيونيــا رئيسا للوزراء بانتخابـه بعد أن دنّس المسجد الأقصـى ى سبتمبر ٢٠٠٠م بينما كان زعيما لليكود .

Ariel Sharon (Palestine born (1928-) was Prime Minister of Israel 2001-2006)

"Even if it means blowing up one or two synagogues here and there, I don't care... What you don't seem to understand is that the dirty work of Zionism is not finished yet, far from it.�

(ولد بفلسطين عام ١٩٢٨م ، كان رئيس وزراء إسرائيل ٢٠٠١-٢٠٠٦م)

"حتى لو استدعى الأمر نسف كنيس يهودي أو اثنين هنا وهناك ، لا يهم ... وما يبدو أنك لم تفهمـه هو أن عمل الصـهيونية القـذر لم ينته بعد ، أمامه شأوا طويلا قبل أن ينتهى .

المصدر: The Official Website of Representative David Duke, PhD

Ariel Sharon, in his own words:

إيرييــل شـارون من أقوالـــه

♣ *I don't know something called International Principles*

لا أعرف شيئـا يسمى المبادئ الدوليــة

♣ *We have the right to demand anything we like from the world. As Jews we do not owe anything to anybody, while the rest of the world owes us a great deal.*

لنا الحق فى أن نطلب أي شئ نريده من العالم . ونحن اليهود لسنا مدينين بأي شئ لأي أحد، بينمــا باقى العالم مدين لنا بالشيئ الكثير .

♣ *vow that I'll burn every Palestinian child will be born in this area.*

أتعهد بأن أحرق كل طفل فلسطينى يولد فى هذه المنطقة .

♣ *With One hit I have killed 750 Palestinian (in Rafah 1956)*

بضربة واحدة قتلـت ٧٥٠ فلسطينيا (فى رفح عام ١٩٥٦م).

♣ The Palestinian woman and child is more dangerous than the man, because the Palestinian child existence refers that generations will go on, but the man causes limited danger.

إن المرأة والطفل الفلسطينيين أكثر خطرا من الرجل ، لأن بقاء الطفل الفلسطينى يعنى أن أجيالا سوف تستمر، أما الرجل فيشكل خطرا محدودا .



كانت منظمة ايرجون أكثر الجماعات الإرهابية الصهيونية شهـرة ، وهى التي قـدّر لزعيمها مناحم بيجين أن يصبح يوما ما رئيسـا لوزراء إسرائيل !

وفا صباح ٢٢يوليو ١٩٤٦م قام إرهابيو إيرجون بارتداء ملابس عربية ودخلوا فندق الملك داود في القدس ، وأفرغوا ٢٢٥ كيلوجراما من المتفجرات التي كانت مخبأة في حاويـات للألبـان . وكـان فنـدق الملـك داود يستضيف أمانـة حكومـة فلسطين والمقر الرئيسى للقوات البريطانيـة فـي فلسطين . وارتـاب ضـابط بريطـاني فـي الإرهـابيين وعلى الفور أطلقت النيران ، وأشعل إرهابيو منظمة إيرجون أطراف الفتائل وهربوا. ودمـر الانفجـار جـزءً مـن الفنـدق وقتـل ٩١ شخـصـا . وكـان اغلـب الـضحايا مـن البريطانيين ، وقتل أيضا ١٥ يهوديا بريئا ، مما يؤكد أن الصهاينة الأصـوليين علـى استعداد لأن يقتلوا حتى رفاقهم اليهود من أجل قضيتهم .

....

وكان البريطانيون عاملا أساسيا في مساعدة اليهود الصهاينة على إنشاء وطـن قـومي في فلسطين ، بيد أن التقدم كـان بطيئـا جدا كمـا كـان يـراه منـاحم بيجـين ، المهـاجر الروسي الذي كان سيصبح رئيسا لوزراء اسرائيل ، فما كان منه إلا أن نسف ببساطة مقر القوات البريطانية في فلسطين وأمانة حكومة فلسطين فقتل ٩١ شخصا بريئا دون تفكير . وقد تسبب هذا العمل الشرير في أن جعل من منـاحم بيجين بطـلا فـي أعين اليهود الصهاينة !!! ولم تكن تلك حادثة منفصلة ارتكبهـا أنـاس لا جدال في قسوتهم واستهتارهم ، يفعلون أي شئ كي يدفعوا بقضيتهم إلي الأمام .

....

والوسيلة الحديثة المفضلة لدى منظمتـي إيرجـون وشـتيرن الإرهـابيتين هـى خطـف الجنود البريطانيين وتعذيبهم بصورة بطيئـة حتى الموت . كمـا أن إسرائيل هـى أول أمـة تستخدم التقنية العصرية الإرهابية المعروفة باسم الخطـاب القنبلـة ، وعلـى مـدى سنوات أرسلت منها المئات فقتلت عشرات من أعدائها والكثير من الأبريـاء العـابرين فى كافة نحاء العالم . وحاليا يعتبر إرهاب إرسال الخطابـات الحاملـة لمرض الجمـرة الذي يصيب الماشية ما هو ببساطة سوى أخ منطقى غير شقيق للخطـاب القنبلـة .

!!! فلتستيقظ أيها العالم !!!

المصدر : **The Official Website of Representative David Duke, PhD**

"The most notorious of the Zionist terror groups was the Irgun, whose leader Menachem Begin would one day go on to become Prime Minister of Israel! On the morning of July 22, 1946, Irgun terrorists dressed as Arabs (sound familiar) **entered the King David Hotel in Jerusalem. They unloaded 225 kilograms of explosives hidden in milk churns. The King David Hotel housed the Secretariat of the Government of Palestine and Headquarters of the British Forces in Palestine. When a British officer became suspicious, a shootout took place and the Irgun lit the fuses and fled. The explosion destroyed part of the hotel and killed 91 people. Most of the victims were British but 15 innocent jews also died, proving that radical Zionists are capable of even killing fellow jews in order to advance their cause."**

The British were instrumental in helping the Zionist Jews set up a homeland in Palestine but progress was too slow for Russian migrant and future prime minister of Israel Menachem Begin so he just blew up the Headquarters of the British Forces in Palestine and the Secretariat of the Government of Palestine killing 91 innocent people without a thought. This evil deed made Begin a hero in the eyes of the Zionist Jews!!! That was not an isolated incident by proven ruthless uncaring people who will do anything to further their cause.

A favorite tactic of the **Irgun and Stern terrorist gangs was to kidnap British soldiers and slowly torture them to death.** Israel was also the first nation to employ the modern terrorist technique of the letter bomb, and over the years sent out hundreds of them, killing dozens of their enemies and many bystanders all over the world. The current terrorism of mailing anthrax infected letters is simply a logical stepchild of the letter bomb.

!!!!WAKE UP WORLD!!!!

المصدر: **The Official Website of Representative David Duke, PhD**

المرفقـــات

المرفق (١) قائمة بسلاطين المماليك البحرية

سلاطين المماليك البحرية	فترة السلطنة
٠١- شجرة الدر (سلطانة)	١٢٥٠م
٠٢- أيبك (المعز عزالدين)	١٢٥٠- ١٢٥٧م
٠٣- على بن أيبك (المنصور نورالدين)	١٢٥٧- ١٢٥٩م
٠٤- قطز (المظفر سيف الدين)	١٢٥٩- ١٢٦٠م
٠٥- بيبرس الأول البندقدارى (الظاهرركن الدين)	١٢٦٠- ١٢٧٧م
٠٦- بركة خان (السعيد بن الظاهر بيبرس) .	١٢٧٧- ١٢٧٩م
٠٧- سلامش (العادل بدرالدين بن الظاهربيبرس)	١٢٧٩م
٠٨- قلاوون (المنصور سيف الدين)	١٢٧٩- ١٢٩٠م
٠٩- خليل (الأشرف صلاح الدين بن قلاوون)	١٢٩٠- ١٢٩٣م
١٠- الناصر محمد (بن قلاوون)	١٢٩٣- ١٢٩٤م
١١- العادل كتبغا (العادل زين الدين)	١٢٩٤- ١٢٩٦م
١٢- المنصور لاجين (المنصور حسام الدين لاجين)	١٢٩٦- ١٢٩٩م
الناصر محمد بن قلاوون (مرة ثانية)	١٢٩٩- ١٣٠٩م
١٣- بيبرس الثانى الجاشكير(المظفرركن الدين)	١٣٠٩- ١٣١٠م
الناصر محمد بن قلاوون (مرة ثالثة)	١٣١٠- ١٣٤١م
١٤- أبوبكر بن الناصر محمد (المنصورسيف الدين)	١٣٤١م
١٥- كوجك بن الناصر محمد (الأشرف علاء الدين)	١٣٤١- ١٣٤٢م
١٦- أحمد بن الناصر محمد (الناصر شهاب الدين)	١٣٤٢م
١٧- إسماعيل بن الناصرمحمد(الصالح عماد الدين)	١٣٤٢- ١٣٤٥م
١٨- شعبان الأول بن الناصرمحمد (الكامل سيف الدين)	١٣٤٥- ١٣٤٦م
١٩- حاجى الأول بن الناصرمحمد	١٣٤٦- ١٣٤٧م
٢٠- الحسن بن الناصر محمد (الناصر)	١٣٤٧- ١٣٥١م
٢١- صالح بن الناصر محمد (الصالح صلاح الدين)	١٣٥١- ١٣٥٤م
الحسن بن الناصر محمد(الناصر) (مرة ثانية)	١٣٥٤-١٣٦١م
٢٢- محمد بن حاجى (المنصور صلاح الدين)	١٣٦١- ١٣٦٣م
٢٣- شعبان الثانى (الأشرف ناصر الدين)	١٣٦٣- ١٣٧٧م
٢٤- على بن شعبان (المنصور علاء الدين)	١٣٧٧- ١٣٨١م
٢٥- حاجى الثانى (الصالح صلاح الدين)	١٣٨١- ١٣٨٢م

المرفق (٢) قائمة بسلاطين المماليك البرجية

سلاطين المماليك البرجية	فترة السلطنة
٢٦- برقوق (الظاهر سيف الدين)	١٣٨٢- ١٣٩٨م
٢٧- فرج بن برقوق (الناصر)	١٣٩٨- ١٤٠٥م
٢٨- عبد العزيز بن برقوق	١٤٠٥م
فرج بن برقوق (مرة ثانية)	١٤٠٥-١٤١٢م
٢٩- الشيخ المحمودى (المؤيد أبو النصر)	١٤١٢- ١٤٢١م
٣٠- أحمد بن شيخ (المظفر)	١٤٢١م
٣١- الظاهر ططر	١٤٢١م
٣٢- محمد بن ططر (الصالح)	١٤٢١- ١٤٢٢م
٣٣- برسباى (الأشرف سيف الدين)	١٤٢٢- ١٤٣٨م
٣٤- يوسف بن برسباي (العزيز جمال الدين)	١٤٣٨م
٣٥- جقمق (الظاهر سيف الدين)	١٤٣٨- ١٤٥٣م
٣٦- عثمان بن جقمق (المنصور فخر الدين)	١٤٥٣م
٣٧- إينال العلانى (الأشرف سيف الدين)	١٤٥٣- ١٤٦٠م
٣٨- أحمد بن إينال (المؤيد شهاب الدين)	١٤٦٠- ١٤٦١م
٣٩- خشقدم (الظاهر سيف الدين)	١٤٦١- ١٤٦٧م
٤٠- بلباي المؤيدى (الظاهر سيف الدين)	١٤٦٧- ١٤٦٨م
٤١- تمريغا (الظاهر)	١٤٦٨م
٤٢- قايتباي (الأشرف سيف الدين)	١٤٦٨- ١٤٩٥م
٤٣- محمد بن قايتباي (الناصر)	١٤٩٥- ١٤٩٦م
٤٤- قانصوه (الظاهر)	١٤٩٧م
محمد بن قايتباي (ثانى مرة)	١٤٩٧- ١٤٩٨م
٤٥- قانصوه (الأشرفى)	١٤٩٨- ١٥٠٠م
٤٦- جنبلاط (الأشرف)	١٥٠٠- ١٥٠١م
٤٧- طومان باي الأول (العادل)	١٥٠١م
٤٨- قانصوه الغورى	١٥٠١- ١٥١٦م
٤٩- طومان باى الثانى (الأشرف)	١٥١٧م

المرفق (٣) قائمة بالحملات الصليبية

المرفق (٣) قائمة بالحملات الصليبية

الحمـلات الصليبية

تواريخها وأسماؤها ونتائجهـا

التاريخ	إسم الحملة الصليبية	النتائـــــــــــج
١٠٩٦م	حملـــة الشعــــب .	دمرها الأتراك فى آسيا الصغرى
١٠٩٦م	٣ حملات صليبية ألمانية .	مذابح اليهود. دمرها المجريون
١٠٩٦م	الحملة الصليبية الأولى	إمارة الرها ومملكة القدس
١١٠٠م	الحملة اللومبــارديـــة	دمرها قلج أرسلان
١١٠١ م	الحملة النفرسيــــــة	دمرها قلج أرسلان وملك غازى
١١٠١ م	الحملة الأكيتانيـــــة	دمرها قلج أرسلان وملك غازى
١١٤٧م	الحملة الصليبية الثانية	حصار دمشق
١١٨٩م	الحملة الصليبية الثالثة	حتلال قبرص وعكا
١٢٠١م	الحملة الصليبية الرابعة الضالة (ضد المسيحيين) .	نهـب القسطنطينية وإنشاء كنيسة وامبراطوريةلاتينيةفى القسطنطينية
١٢١٧م	الحملة الصليبية الخامسة	استعادة الصلـــيب
١٢٢٨م	الحملة الصليبية السادسة	استعادة أورشليم سلميا
١٢٤٨م	الحملة الصليبية السابعة	أسر لويس التاسع فى المنصورة
١٢٧٠م	الحملة الصليبية الثامنـة	موت لويس التاسـع أمام تونس

مرفق رقم (٤) خطاب البابا إيربان الثانى فى مؤتمر كليرمونت

يا شعب الفرنجة ! شعب الله المحبوب المختار! لقد جاءت من تخوم فلسطين ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسا لعينا أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى فى تلك البلاد بلاد المسيحيين ، وخربها بما نشره فيها من أعمال السلب وبالحرائق ، ولقد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم ، وقتلوا بعضهم الآخر بعد ان عذبوهم أشنع تعذيب ، وهم يهدمون المذابح والكنائس بعد أن يدنسوها برجسهم ، ولقد قطعوا أوصال مملكة اليونان فانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها فى شهرين كاملين .

على من تقع تبعة الإنتقام لهذه المظالم ، واستعادة تلك الأصقاع ، إذا لم تقع عليكم أنتم - أنتم يامن حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد فى القتال وبالبسالة العظيمة وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون فى وجوهكم ؟

ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يقوى قلوبكم ، أمجاد شارلمان وعظمته ، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم - فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا .

الضريح الذى تمتلكه الآن أمم نجسة ، وغيره من الأماكن المقدسة التى لوثت ودنست - لا تدعوا شيئا يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم ، ذلك بأن هذه الأرض التى تسكنونها الآن والتى تحيط بها من جميع جوانبها البحار

وقمـم الجبـال ، ضـيقة لا تتـسع لـسكانها الكثيـرين ، تكـاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام ، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضا ، ويلتهم بعضكم بعضا ، وتتحـاربون ويهلك الكثيرون منكم فى الحروب الداخلية .

طهروا قلـوبكم إذن مـن أدران الحقـد ، واقـضوا علـى مـا بينكم من نزاع ، واتخذوا طريقكم إلـى الضريح المقدس ، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتملكوها أنـتم . إن أورشـليم أرض لا نظيـر لهـا فـى ثمارهـا ، هـى فـردوس المبـاهج إن المدينـة العظيمـة القائمـة فـى وسـط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها ، فقومـوا بهذه الرحلـة راغبـين متحمـسين تتخلـصوا مـن ذنـوبكم وثقـوا أنكـم ستنالون من أجل ذلك مجدا لا يفنى فى ملكوت السماوات .

(قصة الحضارة لول ديورانت ١٥ / ١٥- ١٦)
(الترجمة العربية بقلم محمد بدران)



المراجـع

♣ التحفة الملوكية فى الدولة التركيـــة (تاريخ دولـــة المماليــك البحريـــة فـى الفترة من ٦٤٨ – ٧١١ هـ) تأليف بيبرس المنصوري ، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان . الدار المصرية اللبنانيـــة ، القاهرة ١٩٨٧م .

♣ مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ) تـأليف بيبـرس المنـصوري ، تحقيق د. عبـد الحميـد صـالح حمـدان . الـدار المـصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٣م .

♣ تاريخ الحملات الصليبية ، المجلد الثالث ، تأليف السير ستيفن رانسيمان ، ترجمة نورالدين خليل، الإسكندرية ، ١٩٩٨م .

♣ تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١م.

♣ تاريــخ ابن الفرات ، تأليف ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الديــن ، بيروت ، ١٩٣٩م.

♣ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تأليف بدر الدين العيني – تحقيق محمد محمد أمين الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

♣ العصر المماليكي في مصر والشام ، تأليف سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

♣ السلطان المنصور قلاوون ، تأليف حمزة إسماعيل الحداد ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩٨م.

♣ – قامـوس الأديان السماوية الثلاثة ، اليهودية – المسيحية – الإسـلام ، انجليزي / عربي ، جمع : نور الدين خليل ، مراجعة محمود آدم

♣ - المماليك المفترى عليهم (٤) المنصور قلاوون ، بنـاء الحضارة ، نورالدين خليل .

♣ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، تقي الدين المقريزي الجزء الثاني – بيروت، ١٩٩٧م.

♣ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي .

♣. (Al-Ahram Weekly On-line) (24 - 30 September 1998 Issue No.396)

♣ *English / Arabic Dictionary of the*
Three Heavenly Religions Judaism-Christianity-Islam
By: Noureldin Khalil Revised by: Mahmoud Adam

♣**The Official Website of Representative David Duke, PhD**



المحتويـات